

شخصيات أثرت في التاريخ

# جورج واشنطن مؤسس أمريكا



مكتبة النافذة

تأليف: جاك برنسون  
عرض وتحليل: هشام خضر



المكتبة الإلكترونية العراقية

# جورج واشنطن مؤسس أمريكا

تأليف: جاك برنسون  
عرض وتعليق: هشام خضير

مكتبة النافذة

## جورج واشنطن مؤسس أمريكا

هشام خضر

الطبعة الأولى / ٢٠٠٧

رقم الإيداع ١٣٧٧٢ / ٢٠٠٧

الطبعة

دور طبعة للطباعة - الجزيرة

كل الحق  
محرقة

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: محمد عثمان

---

الجزيرة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدي

الثلاثيني (ميدان الساعة) - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢١ ١٨٠٢

alnafazah@hotmail.com

## شيفال محمد بن جسيم

### مقدمة

سيظل جورج واشنطن - الرجل الذي استطاع أن يحرر الولايات المتحدة الأمريكية من قبضة الاستعمار الإنجليزي - صفحة ناصعة ومضيئة في كتاب تلك الإمبراطورية الكبرى التي أضحت مترامية الأطراف، وتسيطر على اقتصاديات العالم بالعقل والقوة والعلم والتكنولوجيا.

لقد كان جورج واشنطن رائدا في إرساء قواعد الحرب وترسيخ معالم الديمقراطية التي تعترف بها الولايات المتحدة وتتفاخر بها أمام الأمم، وتصدرها للعالم من حولها في منظومة رائعة أضحت مشار حد وحقد وغيره من كافه شعوب المعمورة.

إن جورج واشنطن يستحق عن جدارة أن نسمي عاصمة الإمبراطورية الكبرى باسمه، وربما قد يكون ذلك أقل مما يستحق هذا الرجل العظيم الذي بدأ حياته شابا بائسا يعاني ضيق ذات اليد، ويشكو شظف العيش، ويحلم بكسرة خبز وشربة ماء من عرق جبينه.

لقد بدأ هذا الرجل كفاحه ساحا للأراضي حتى حظى بشهرة واسعة النطاق فتحت الأبواب على مصراعيها حتى تمكن من فرض موهبة وعبقريته في تلك المهنة التي تتطلب قدرات عقلية ومهارة وذكاء، آنذاك كان جورج واشنطن لا يميل إلى الوصول إلى السلطة بل كان زهداً رافضاً لا تمنح لها نفسه، وتأيي أن تخضع لأضوائها وأطماعها، ومن ثم كان محط إعجاب وتقدير واحترام من شعب بلاده الذي رشحه قائدا له يقود حرب الاستقلال والتحرير والانطلاق إغلال وقيود

المستعمر الإنجليزي الذي كان قد فرض ظلمه وطفغيته واستبداده على جميع الولايات المحتلة الأمريكية.

كان جورج يرغب فقط في إحراز النصر لوطنه المحتل، ونقل قصاري جهده، ونذر نفسه من أجل عزة وكرامة وطنه الذي كان يروح تحت نيران الاستعمار.

قاد جورج جيش بلاده الذي تألف من المتطوعين والجيش الوطني، وكثيرا ما تعرض للهزائم المخزية على يد المستعمر البريطاني، لكنه استطاع أن يحرر النصر في نهاية المطاف بعد أن التفت حوله جميع طوائف الأمة توارره وتدعمه وتسانده، وتشد من أزره أملاً في غدٍ أفضل ومستقبل أكثر إشراقاً، وهو ما أقره العالم أجمع.

إن جورج واشنطن نموذج إنساني يستحق الإعجاب والتحية لكل من يتطلع إلى حياة كريمة وأمة حرة مستقلة.

## الفصل الأول نشأة جورج واشنطن

فى داخل مزرعة ضخمة تحيط بها الغابات والأراضى البرية من كل جانب فى مقاطعة «وسترلاند» إحدى مقاطعات ولاية فرجينيا، وفى صباح الثانى والعشرين من شهر فبراير عام ١٧٣٢ .

كان الأب أوجستين واشنطن على موعد مع وليده الثالث<sup>(١)</sup> الذى كان ينتظره على أحر من الجمر بعد زواجه من السيدة ماري بول التى كانت تصرخ من قسوة المخاض، واقتراب ساعة خروج وليدها إلى الدنيا .

وفى تمام الساعة العاشرة نهلت أسارير الأب الذى كان يعتمر ألما وحزنا على صراخ زوجته وصيحاتها المتوالية والمدوية لتختلط معها صرخات وليدها الذى تعالت صرخاته معلنا قدومه، ليرقص الأب طربا وفرحا بقدومه السعيد والراحة التى استردتها زوجته بعد صراع مع آلام الولادة .

بعد ساعات راح الأب يبحث عن اسم لوليدته الذى ملأ عليه الدنيا سعادة وبهجة، وراح الأب فى تسمية مولوده حتى اضطر أن يتشاور مع زوجته فى اختيار اسم يناسب وليدهما، وكان أن اقترحت الأم على زوجها اسم جورج تيمنًا بالملك البريطانى جورج . . عقدت الدهشة ملامح الأب بعض الوقت وسرعان ما أبدى موافقته بعد أن راح يردد همًّا «جورج واشنطن . . جورج واشنطن . . جورج واشنطن» . . . وحين تبين للأب ملائمة الاسم راح يعانق زوجته على ذكائها فى

---

(١) كان الرجل متزوجا من سيدة أخرى ماتت وقد ألحقت له لورانس ولوستن، الأول ولد فى عام ١٧١٨ والثانى فى عام ١٧٢٠ .

اختيار مثل هذا الاسم رغم عدم شيوعه بين آل واشنطن الذين يتمسكون منذ القدم بأسماء محددة أمثال: جون تيمنا بالجد الأول الذي هاجر من إنجلترا وأسس أسرته الكيسرة في الولايات المتحدة الأمريكية كأحد أشهر مزارعي التبغ في ولاية فرجينيا، أو تشارلز وارجستين ولورانس، وإدوارد، وهنري، وريتشارد وهي أسماء تعد الأكثر انتشاراً داخل البلاد، أما اسم جورج فلم يكن من تلك الأسماء التي يتمسك بها الأمريكيون على اعتبار أنها من سمات وصفات العائلات الملكية والأسرة البريطانية، أي أنها ملك للطبقات الحاكمة والارستقراطية رغم عدم وجود تشريع يمثل ذلك لكنها الطبقة المتطرفة التي لوجدتها الرأسمالية الإنجليزية والملكية العتيقة.

بعد مرور هامين على ميلاد جورج واشنطن، رزقت أسرته بطفلة سميت (بيتى) وكانت تشبه جورج إلى حد كبير في ملامحه وصفاته، حتى خيل للبعض من فرط أوجه التشابه بينهما أنهما توأم!!

وبعد مرور هامين آخرين على ميلاد (بيتى) أنجبت الأم طفلاً يدعى (سام)، كان جورج في تلك الأثناء يهوى ركوب الخيل الذي تعج به المزرعة الشاسعة الممتدة على نهر بوتناماك، كما كان تلاحق المزرعة بحافة النهر مدعاة له لممارسة فنون الصيد وعشقه وحرصه على مزاولته طوال ساعات فراغة .

ربما أدى ركوب الخيل المستمر إلى انتصاب قامته التي كانت فارعة، ونمو جسده ذو البنيان القوي.

على أية حال لم يكن شقيقه سام هو آخر عنقود تلك الأسرة السعيدة، بل تبع هذه السلسلة من الأشقاء جون وتشارلي، حتى بات لجورج خمسة أشقاء يضمرون البيت بالبهجة والسعادة وسط حفارة بالفة من الأب، ودفء من الأم التي كانت تحنويهم بحنانها ورقتها وعذوبتها.

فى أحد الأيام أقبل الأب لوجستين مبشرا أسرته بالعثور على مزرعة جديدة ومتميزة، وقد حان وقت الانتقال إليها، ومن ثم حُزمت الأسرة متاعها وانتقلت بصحبة الأب إلى البيت المنشود الذى تحتضنه مزرعة ضخمة وشاسعة، ولا تقل عن تلك التى غادورها، غير أن المزرعة الجديدة نطل على نهر رياهانوك، ويتميز البيت الذى تضمه تلك المزرعة بكثرة وتعدد حجراته ولونه الأحمر وموقعه المتميز، خاصة وأنه شيد على ربوة عالية تحيطها أشجار الغابات من كل جانب، صحيح أن هذا الانتقال الأسرى لم يكن الأول من نوعه لكنه كان الرابع بيد أن هذه هى المرة الأولى التى كان «جورج واشنطن» على يقين مما يدور من حوله، ومن هذا التحول المفاجئ، فى محيط أسرته حيث كان فى مرحلة تتيج له استيعاب ما يسجى أمام عينيه.

كان البيت الكبير الذى انتقلت إليه أسرة جورج يتألف من أكثر من تسع غرف فضلا عن الردهات الواسعة، وما يتبع هذا البيت الضخم من مخازن وأماكن رحبة لإعداد الطعام، ومعامل لتصنيع مشقات الألبان ومنتجاتها، وأماكن المبيت اليومي لكلاب المزرعة وحظائر المواشى، وغرف مخصصة لتخزين المحاصيل الزراعية، وأخرى لمعيشة الحراس وعمال المزرعة... وغرفة كبيرة الحجم خصصها الأب لاستقبال التجار والمزارعين بدلا من التكلف وإهدار الوقت عند إستقبالهم داخل البيت، وما يترتب على ذلك من إسراف وتبذير، كان الأب فى غنى عن مثل هذه الممارسة خاصة وأنه يمول أسرة كبيرة مكونة من سبعة أفراد يتطلبون نفقات باهظة لسد حاجتهم ومتطلباتهم التى لا تنتهى ولا تتوقف.



## المثل الأعلى لجورج

ولأن المزرعة كما سبق وأن أشرنا قد شيدت بمحاذاة نهر (رياهانوك) فقد عاود جورج ممارسة هواية الصيد التي سكنت نفسه واستقرت بها، وفي أثناء ذهابه ذات مرة بصحبة شقيقته يني للصيد وبنما كاتا يجريان راح جورج المشاكس منذ نعومة أظفاره يقف متراقصا أمام شقيقته على منحدر معبر خشبي حتى يصل إلى مدخل إحدى السفن التي كانت راسية كعادتها بالقرب من المزرعة، وقبل أن يحط بقدميه على مدخل السفينة انزلقت قدماه ليقط في النهر منشبا بالحياة، منسكا بأهدابها بصراخه وصيحاته، ولولا أن صرخات شقيقته يني شقت عنان السفينة لكان جورج في عداد الموتى؛ حيث هرول عمال السفينة وألقوا بأنفسهم في البحر واستطاعوا بعد لحظات انتشال جورج الذي كان قد غمره الماء، وكاد النهر يتلعه.

خرج جورج بصحبة عمال السفينة الذين كانوا له بمثابة طوق نجاة على الشاطئ، منشبا عليه وقد روده أحدهم بقيلة الحياة لاستخراج ماء الموت من معدته عبر جوفه، ليترد عافيته وتتحرك أعضائه بعد أن تجمدت وتجمدت، وبدأ لناظريه جثة فقدت روحها ولم تعد تقوى على الحراك.

بعد أن انقشمت تلك الغمة التي داهمت جورج راح يسبح خيوط علاقة حربية مع ريان السفينة وعماله، وقد شعر جورج بالامتنان الشديد إزاء هؤلاء الذين أنقذوه وأعادوه للحياة، ومن ثم لم ينقطع يوما عن زيارة السفينة ومجالسة ريانها الذي كان يرتدى ثيابا براققة تضيء عليه مهابة ووقلرا أخذت لب جورج وانجذب إليها انجذابا..

ولأن السفينة كانت كعادتها في طريقها إلى سواحل المجنثرا فقد راح الريان يقص على جورج خط سير الرحلة الطويلة والشاقة، يد أن جورج لم يكن يبالي بعناء

الرحلة أو طول زمها بل كان توفيقاً إلى خوضها ومعايشتها ومن ثم نجلت صورة الرباد في أعين جورج وأصبح منذ تلك الحادثة المروعة هو المثل الأعلى الذي بات يترافق أمام حبيبته ولا يارحها إلا عندما يأوي إلى فراشه.

كانت السفينة قد اعتادت على أن ترسو أمام مزرعة آل واشنطن لمدة أيام لنقل الحمولات العدائية وتوريدها إلى عاصمة الإمبراطورية البريطانية لندن عبر الطرق البحرية وأصبح جورج ينتظر تلك الأيام التي ترسو فيها السفن بالقرب من مزرعتهم لتوطيد أواصر العلاقات الحميمة مع ربتها ومحاربيها، ولتجديد أطراف الحديث الممتع والشيق حول قيادة السفينة وقدرتها على حوص عاب البحار الهائجة والوصول إلى المرفأ المنشود.

والى جانب اشتياق جورج للجلوس في قمرة القيادة، فقد بات مشدوها ومشدوداً بما يشاهي لسمعه حول العاصمة البريطانية لندن وما تشهده من تقدم وحضارة وبهجة ورفاهية، ومن ثم كان حلم جورج الآخر هو الوصول عبر أية سفينة ترسو بالقرب من مزرعتهم إلى الموانئ الإنجليزية لمشاهدة تلك البلاد المتقدمة عن كتب.



## لورانس المثل الآخر

كان جورج يعلم أن والده كان قد سبق له الرواح قبل أن يفترض بوالدته السيدة ماري وقد أنجبت زوجته الأولى طفلين أولهما لورنس الذي ولد عام ١٧١٨ والثاني هو أوستن المولود عام ١٧٢٠ ، لكنه لم يلتق بهما من قبل ، حيث أنهما قد أوفدهما والدهما لتلقي العلوم العسكرية في بريطانيا، وكم كان جورج نواقا لرؤية أخويه كلما وقعت عيناه على أحد الضباط الذين يرتدون الرزة العسكرية والتي تضفى عليهم نزعة بطولية ولحة جمالية شعلت جورج ردحا من الرمان

وفي أثناء عودة جورج من مدرسته متوجها إلى بيته برفقة (ملائته) وجدوا أنفسهم بالقرب من إحدى الساحات الواسعة التي تشهد تدريبات عسكرية هبة يؤدبها عدد ضخم من الضباط والحرود استعدادا للمشاركة في حوص الحرب التي اندلعت بين إنجلترا وأمينا

وفي أثناء وقوف جورج وترقه لما يحدث أمام عيبه وقف الضباط يلون بناء قائدهم بكلمة نعم إذا ما يودي على أحدهم للتأكد من هدم هروب أو تسلل أحدهم من داخل المعسكر.

وفي تلك اللحظات تنهى لسماع جورج اسم شقيقه القائد «لورانس أوجستير واشنطن» فرفض جورج وصرخ الأرض مقدميه وصاح قائلا لرملائه : أقسم أن القائد لورانس هذا شقيقي . إنه شقيقي ، وقد بدا كمن أصابه مس من الجنون ، ولكنه كان مصمما على موقفه وراح يقص على زملاء مدرسته أن لورانس هذا شقيقه الأكبر من الأب فقط ، وأنه موفد إلى إنجلترا لخدمه العصور العسكرية امتثالا لرغبة الأب.

ولأن رواية جورج لم تكن جذيرة بالصدق لدى زملائه فقد تعهد أمامهم بمصافحة شقيقه لورانس عقب انتهاء التدريبات حتى يتأكدوا من صدق روايته .  
 وانتظر جورج على صفيح ساخن إعلان قائد المعسكر بانتهاء التدريبات العسكرية حتى يتسنى له أن يؤكد لزملائه مصداقيته وأن يرتقى في أحضان شقيقه الأكبر الذي لم يكن قد رآه من قبل حتى يعانقه ويشد على يديه ويصطحبه إلى البيت ليماحى به والده وأشقائه ، ثم يسمح له طوال الليل مشواره الطويل من فرجيا إلى المدرسة العسكرية بلندن ، وما بينهما من أحداث ومواقف وصور يتوق جورج لمطالعنها في التو ودون إبطاء .



وما أن فرغت الفرقة العسكرية من أداء تدريباتها ، حتى أصدر القائد أوامره بالانصراف لنيل قسط من الراحة لكل صابط وجدي بين أسرته على أن يعود الجميع مرة أخرى في الموعد المضروب لتسفيرهم إلى انجلترا للانحراط في صفوف القوات البريطانية في حربها ضد ألمانيا

وهي التو انطلق الطفل الصغير جورج - الذي لم يكن قد بلغ التاسعة من عمره - إلى غناء المعسكر قاصداً آحاء القائد لورانس بين جموع العسكريين حتى عثر عليه ليرغمي في أحضانه وقد بللت الدموع وجهه وهو يصرخ بصوت متحشرج أن جورج بالورانس ، أنا جورج شقيقك ألا تعرفني ؟

وبمجرد أن سمع لورانس اسم شقيقه حتى راح يمطره بوابل من القلات ، وهو يضمه إلى صدره ليثبه فيه شوقه وحنينه الذي اكتوى به طوال سنوات اعتزائه في انجلترا وانساعده عن أسرته ، بعد لحظات من العناق الحار اصطحب اليوزياشي لورانس شقيقه الصغير جورج وتوجها معا إلى البيت والسعادة تفرهما وسط فحول

ودعشة زملاء جورج الذين صافحوا اليوزباشى واحداً بعد الآخر ، وهم يتعاضدون  
كمادة الصغار فى مثل هذه المرحلة المبكرة من العمر .

كان لورانس العائد من بعثة العسكرية قد رقى إلى رتبة يوزباشى ، ومن ثم  
أصبح قائد فرقة الجنود التى كانت تتدرب منذ قليل

وفى طريق العودة إلى المنزل راح جورج يلتقى بحرمة من الاسئلة على سامع  
شقيقه ، وراح اليوزباشى يجيب والابناسة الحانية لا تقاى وجهه المشرق الباسم ،  
وقد أمتع فى شرح الأوضاع العسكرية المتعجزة بين إنجلترا وأسانيا فيما أصمى  
جورج وكأنه يهمهم ما يردده شقيقه اليوزباشى الذى أكد أن البلاد تحارب فى منطقة  
جرائر الهدد العربية فى الجهة الأمريكية من المحيط الهادى . وراح يحكى ملابسات  
انضمامه إلى الفرقة العسكرية المتوجهة إلى ميدان القتال بأوامر صادرة لتوها من  
جلالة ، ثم استرسل لورانس فى وصف أخطر وأبرز المعارك الحربية التى جرت فى  
جبهة القتال وكيف استطاع أمير البحار (الادميرال ماونت باتون) البريطانى من  
السيطرة على أهم وأقوى القلاع الأسانية من خلال خطة عسكرة لم يشأ لورانس أن  
يشرحها لشقيقه جورج نظراً لصعوبتها وتعقيد خطوطها التى لا يستطيع استيعابها إلا  
من كانت لديه خبرات عميقة ونجارب طويلة فى ميادين القتال

وحين وصل لورانس إلى البيت الكبير راح يعانق والده ويحتضنه وهو يبكى  
فرحاً على عودته سالماً إليه بعد سنوات طويلة من الاعترا بعبئاً عنه . وراح  
الاب المتمرس يربت على كتف ولده لورانس بهتة على رنته الحديدية وتولية منصب  
قائد فرقة عسكرية ضخمة ، ومدوره توحه إلى أشقائه الصغار وحلس بهم بعد أن  
صافح زوجة والده التى احتضت بقدميه وراحت تتولى نفسها إعداد وتجهيز أفقر  
وأشهى وألذ أنواع الطعام والمصائر ، وقد بدت لزوجها أنها بدل قصارى جهدها

فى الاحتفاء بطورانس الأمر الذى نعث على نفسه العطية والسرور، ومن ثم قضت العائلة ليلة سعيدة هادئة وسط ذكريات راح لورانس يرويها فيما كان أشغالوه ينصتون وقد فاعت أهواهم مشدودين مسحورين كان على رؤوسهم العير.



بعد أن مرت بضعة أسابيع تجمعت الأسرة حول لورانس بعد أن قامت شقيقته ببنى بجمع مناصه وأدواته الشخصية وحرم حقائبه استعداداً للسفر مع جنوده المتجهين جميعاً إلى لندن للاشتراك فى اتون الحرب الإنجليزية الإسبانية .

وكان جورج فى طليعة أفراد الأسرة الذين اصطحبوا اليوزباشى لورانس إلى ساحة التجمع لتوديعه، وهناك احتشدت العائلات واحتلظت الدموع بالأهات والبكاء بالصراخ والنحيب كل يبكى على ليله.

الروجة تبكى رحيل زوجها إلى ميدان القتال، والآن تصرخ من أجل أبيها الذى لا يدرى إن كان سيعود سالماً غانماً أم أنه سيكون ضمن ضحايا تلك الحروب للمجنونة . والام تشق جيوبها حرناً ولما على أهز ما وهت لها الدنيا، والعتاة المحطوبة تدرف الدموع تحسراً على اقتدار الأيام الخوالى الناعمة الناعمة العذبة . والأشقاء يحتضنون بعضهم البعض والدموع تتحجر فى عيونهم خيفاً وسخطاً من تلك الحرب التى شامت أن تباعد بينهم

وانطلق صوت باعج البروجى مؤذناً بالصمود الجماعى للمجنود إلى ظهر السعينة وسط صيحات وصراحات ودعوات وقلات وأهات ومراسير تصدح وطبول تدق وهتافات ولناشيد وطنية تدعو الله أن يحفظ الملك . .

وأبحرت السفينة وقد انجذبت بوصلتها نحو للحيط الهادئ، ونحركات تقطع وتكسر الأمواج موجة بعد أخرى، وعادت الجماهير إلى يسونها تجرهم أمالهم فى

لقاء قريب وتسكن الالمهم لعباب الخبيب، حتى ملئت المدينة كثية حرية بانسة إلا من صرخات الاطفال الذين أطربهم الحشد الشعبي والاحتمال المهيب الذي جرت وقائمه منذ لحظات

وفي أثناء غياب الفرقة العسكرية عن المدينة كان جورج الياء يقود زملاءه في المدرسة والمكن إلى المعاء الواسع الذي شهد تدريبات الفرقة العسكرية وراح الاطفال والصبية يتقاتلون بالمصى وسيقان الدرة كأنهم جنود فرقة لورانس واشتغل بعد أن توحشت في نعوسهم حريزة الختنية المبكرة



بعد مرور نحو عامين من مغادرة فرقة لورانس عادت الفرقة مرة أخرى وعلى رأسها القائد المغوار لورانس واشتغل الذي كان قد واطب على مراسلة أسرته من ميادين القتال حيث أن لقاءهم قد ألقى بظلال من الحب الحار ف مات على أثره مهووساً بالعودة إليهم مرة أخرى بعد أن ذاق منهم حلاوة الترابط العائلي واستشعر بدقته وسحره وضروراته وحاجته الملحة له..

توجه لورانس إلى بيت عائلته برفقة بعض الجنود الذين حملوا له صديق الهدايا التي اشتراها لأشقائه ووالده وزوجته، وكان لورانس واعيا ودكبا حيث كان يعلم ما يريد أن يشاؤه من هدايا دون أن يعصخوا له عنها أو يسألهم هو عما يتعود

كانت للهدايا أبلغ الأثر في ترطيب صدور العائلة التي احتوت لورانس بحنانها وكرمها وقد أحس جورج بأن الحب نحو لورانس ينمو بداخله يوما بعد يوم، حتى أنه شعر أن لورانس لا يعد له أخا فحسب بل مات صديقا لا يمكنه الابتعاد عنه نظرا لعمامة خلقه وطيبة قلبه، وشديد كرمه وعزلة صراطه التي لا تنقطع لحظة نحو أفراد أسرته بما بهم زوجة أبيه التي أعلق عليها بأعلى الهدايا الأنيقة التي أعجبتها.

كانت عودة لورانس هذه المرة تختلف عن سابقتها، حيث كان قد عاد برفقة شقيقه أوستن الذي استقبلته الأسرة استقبالا حاراً لا يقل بحال من الأحوال عن تلك الجماعرة التي استقبلت بها الأسرة شقيقه لورانس

لكن كان قلب جورج يميل نحو لورانس الذي كان بمثابة مثله الأعلى والمودع الذي يتطلع إليه ويقتفى أثره منذ أن وقعت عياد عليه لأول مرة.

كان لورانس كعادته لا يكف عن رواية أعرب واحظر وأقوى المعارك الحربية التي شهد وقائعها بنصه في ميادين القتال الدائر بين إنجلترا وأسبانيا، ولم يكن يمل من سرد الحكايات التي كانت تشبه الأساطير عن عبقرية وبوغ قائد البحرية الملكية الأميرال مارت «فرنون» أمير البحار، الذي كان مصرّبا للأمثال في البطولات والصور المكرية، فضلاً عن شجاعته وجسارته التي كانت محط إعجاب من جميع قادة وساسة بريطانيا العظمى

كان جورج أثناء تلك الحكايات للثيرة الممتعة والشيقة يجلس بين يدي لورانس مسحوراً متأملاً مترقباً منتظراً ما سيجود به لانه الذي كان جعراً ذهبياً يعبره جورج إلى قلب لورانس الذي كان يتصف بالفطرة على حرص ما يريد بسهولة وبعبارة واضحة بسيرة غير معقدة أو مركبة لا تصفى على حديثه جواً من الكانة، بل إنه كان صبعاً للدهشة والدهول والإعجاب والاعجاب لم يسمعه، ومن ثم كان جورج يرى أن شقيقه لورانس كان أبرع من أى أديب في وصفه وحكاياته، كما كان يراه أجمل شباب في مديته، رغم أن لورانس كان ذو بشرة سمراء وإن كان وجهه صبرحا وعينه تلمعان ببريق كأنه قد اعتاد تكحيلها، فيما كان يمشق القوام نحيف الحسد، أما جورج فقد كان أحمر الوجه أصمر الشعر طويل القامة عريض المنكبين رغم حداثة سنه في ذلك الوقت الذي لم يكن قد جاوز فيه الثانية عشرة من العمر

## وفاة الاب المفاجئة

فيما كان جورج يقوم بزيارة لحصن أقاربه في نصص المقاطعة التي يعيشون بها، وبينما كان يتجاذب أطراف الحديث مع أقاربه حول اعتزامه السفر إلى لندن لتلقي علومه العسكرية شأنه في ذلك شأن أخويه لورانس وأوستن إذ يأخذ الرسل يدق باب أقاربه بعنف وحين دنا من جورج همس في أذنه بأن والده يشكو ألما حاداً وعيماً وأنه قد أبدى رغبته في رتبته الآن، الأمر الذي دفع جورج للوثوب في رشاقة على ظهر جواده الذي انطلق به مهزولاً وعجولاً إلى بيته بالمرعة للوقوف على حقيقة ما حمّله إليه الرسول، وقد كانت نبضات قلبه أكثر هدداً من قمرات جواده من فرط خوفه وجرعه على ظهره وسد وجهه وقلعت وحصنه الميع وسبع الحنان الذي يرتوى منه كلما رآه.

وحيث اقترب جورج من البيت سرت في جلدته فشمريه لم يمهدها من قبل أوعرت إليه أن أباه في السرع الأخير، أو ربما قد فارق الحياة حيث لاحظ أن البيت بدا في عينه كنيا قائماً مظلماً، يبعث على الأسى، وحيث استقبلته والدته انخلع قلبه بعد أن رآها على غير ما تركها منذ ساعات، وقد بدى وجهها عارفاً في بحر من الدموع فصديق حذمه الذي راوده في طريق عودته وما أن تسلل على أطراف قدميه إلى فراش والده حتى تأكد أنه قد فارق الدنيا فأعشى على جورج الذي كان قد اجتاحت به بومة بكاء هستيري، وقد تبه منها على يد محامي الأسرة وواعظ الكنيسة وبعض أقاربه الذين كانوا قد حضروا على عمل لامتشاف الوصع الذي آل إليه حميد الأسرة بعد أن طارت الرسل إليهم تحبرهم بأن أوجنتين في خطر

بعد لحظات قام البعض من أفراد العائلة بشجھير مراسم الدفن وتشجيع الجنائز لإطفاء نار الحزن التي تسيطر على أفراد البيت طاملاً بقيت جثته عمدة حولهم.

كان والده يستحق الحزن والألم والأسف على رحيله حيث أعلق على جميع أبنائه بمدونه وكرمه وسجله ومضله ورقته دون تمييز أو تفرقة فيما بينهم، ولكن كانت الأم تتوجس خيفة من رحيل الزوج المفاجيء وما يمكن أن يترتب عليه من محاطر جسيمة وعواقب وخيمة تنعكس على مسيرة الأسرة ومشوارها الطويل الذي انصرف عنه بيد القدر دون إعداد مسبق لرسم مستقبل هذه الأسرة التي تشتهر بكثرة أعدادها خاصة بعد عودة لورانس وشقيقه أوسن إلى أواصرها.

كانت محاور الأم في محلها حيث أن الهواجس التي سكنتها عقب رحيل زوجها قد أصبحت حقائق لا شك فيها، فقد أذاع محامى الأسرة بيانا تفصيليا دقيقا وواقعا عن وصية الزوج الذي أوصى طبعا للأعراف والتقاليد والقيم الاجتماعية الإنجليزية بأن يرث لورانس النصيب الأكبر من التركة المتواضعة، وذلك وفقا لما هو متبع لمن يحلف أباء هي تلك الحفلة الرسمية

وحيث سمعت الأم بيا الوصية وخيبة الأمل التي ميت بها هي وأولادها امتعض وجهها وأدركت في التو أن المستقبل قد بات مظلما وسودويا، ومن ثم وجب عليها تدبير ما يلزم في الأيام القادمة وتعبير الحطط المستغلبة وما كان قد نعهد به الأب لأولاده قبل أن يفترسه الموت..

لقد صافت الدنيا في عين الأم التي ورثت عن زوجها هموم ومشاعب لم تنتهى، بل سترداد حنة وقوة عما كانت في حضرة زوجها الذي لم يكن ثريا، بل كثيرا ما فقد أمواله في تجارة النخ الذي كان يقوم بتصديره إلى إنجلترا عبر البحر البحرية بواسطة براميل كم من مرة قد تعرضت للتلغ من سوء التحريض أو من تسرب الماء إليها بعد أن تمند إليها بد الإهمال.

لقد أدرك جورج بدكاته أن الأمور بالعمل قد تغيرت ونحولت بوصلتها إلى مجهول عامض ينتظر الأسرة الكبيرة، ومن ثم لم يعد هناك مجالا لأحلامه التي

كانت تسكن معه رقله وعقله ويات عليه أن يبحث بوصفه الشقيق الأكبر لاشقائه من أمه خاصة وأنه لم يعد بمقلود لورانس وشقيقه القاء بعد أن رحل من كان يحرص على وجودهما في بيته، ربما كانت زوجة أبيهما لا يروق لها بقائهما خاصة بعد أن حظيا بالجزء الأكبر من ثروة لم تكن كبيرة.



بعد أن شيعت جنازة الأب عاد الجميع إلى البيت للتباحث في شئون المستقبل، وكان لورانس وشقيقه أوسن قد قررا دون تراجع معاداة البيت بعد انتهاء العراء وانقطاع الناس عن مواساتهم.

وبالمعل حرم الشقيقان حقائبهما وراحا يحثان معا عن مكان مناسب ولاتق لهما بوصفهما ضباط في الجيش الإنجليزي العريق ولكن سرعان ما تفرقت بهما السبل حيث طالت الحياة لكل منهما وفق هوى صاحبه، فقد استقر لورانس في مزرعة واسعة تطل على نهر بوتوماك بالقرب من المزرعة التي كان يتأجرها والده من قبل، بينما عاش شقيقه الأصغر أوسن في إحدى المزارع، قيل إنها المزرعة التي قضى فيها جورج بعضاً من طفولته.

وكان جورج كمعادته لا ينقطع عن زيارة شقيقه اللذين قد تزوجا بعد رحيل الأب المعاجيء، خاصة ترده الدائم على بيت شقيقه لورانس الذي كان يميل إليه وينجذب إلى أحاديثة خاصة وأنه كان معتوناً بسيرة الأدميرال «ماونت فرنون» الذي أطلق لورانس اسمه على مزرعته في مدينة ويكميلد.

كانت الحياة في تلك المدينة مشيرة وشيقة ولطيفة.. حياة لم يكن جورج بمعدها من قبل وكان بيت لورانس قبله - لقادة كبار ورموز من داخل الجيش الإنجليزي وخصوصا ضباط البحرية من أصدقاء ومعارف لورانس.

كان لورانس كريما سخيا في بيته، حيث كثيرا ما كان يقيم الولائم الضخمة لصيوفه فضلا عن سماحته في ممارسة لعب الورق كل ليلة كما كان مشهورا بإعداد وتجهيز اصطياد الثعالب.

كان لورانس على علاقة وطيدة وصداقة عميقة مع آل «آد» الذين يجاورونه في المسكن، حيث كان عميد تلك الأسرة السير ويليام ميرفاكس من ألمع الرجال وأشهرهم على الإطلاق..

كان لهذا الرجل ابن عم لورد واسع الثراء حيث يمتلك في مارجيبا نحو أكثر من خمسة ملايين من الأونصة حلف جنال ريدج



## كيف تتعامل مع الآخرين؟!

كان جورج حائراً تائها لا يدري كيف يجب التصرف نحو الآخرين؟ ومتى يبدأ هو الحديث؟ وكيف يستطيع أن يتجاذب معهم أطراف الحديث دون أن يشير غضب أي منهم أو يفقد تقديره وامتنانه واحترامه؟ كان جورج مسكوما بهذا الأمر لا يكل من البحث عن آدابه وقواعده، ثم كان كثيراً ما يشاط: متى يضع ساقا على ساق؟ ومتى يلود بالصمت؟ ومتى يضحك؟ وما هي الموضوعات المناسبة؟ وهل يعني لمعان أم يضافه وهو متصبب القامة مرفوع الهامة؟

هواجس وخواطر هاجت بها رأس جورج المراهق الذي استعرب أن سكان تلك المقاطعة التي يعيش بها شقيقه لديهم القدرة والبراعة على صياغة العلاقات الإنسانية الناجحة، وهو الأمر الذي يفتقد أو هكفا كان يظن.

وظل جورج على حاله حتى عثر على كتاب في مكتبة شقيقه لورانس، كان الكتاب بعنوان "كيف تتعامل مع الآخرين؟" وقد راح يقرأ بعض فقراته في سعادة غامرة بعد أن عثر واهتدى إلى صائه المنشودة..

ومن بين هذه الفقرات التي اجتذبت: «إن أي عمل تؤديه أمام جمع كبير من الناس يجب أن يرتبط سلوكك بمظهر من مظاهر الاحترام للغير فإذا تأنبت وضع يديك على فمك، إذا دخلت مكاناً ما فما عليك سوى أن ترفع قمعتك لمن فيه من ذوي المناصب المرموقة، لا تجلس والناس وقوف، لا تستسلم للبرم وأحدهم يتحدث معك، لا داعي لإظهار مرحك إذا حلت كارثة بأحد حتى وإن كان عدواً لك»

لقد تفحص جورج قائمة المنوعات والمطلوبات والمسموحات، فاكشف أنها تتجاوز المائة، ومن ثم اعتكف على نسخها لحفظها من أجل أن يعمل بما ورد في سطورها حتى يتسنى له اكتساب صداقات جديدة كما يفعل شقيقه لورانس

## العمل في المساحة

كعادته في الصباح راح جورج يلعب مع الصبية من زملاء المدرسة أو من أبناء البيوت المجاورة لبيته، وفي إحدى الأماكن الشاسعة جلس الصبية جميعاً يتأملون أداء بعض رجال المساحة الذين وعدوا إلى مدينة فريديكسبورج لمسح قطعة الأرض الواسعة بالمدينة التي كان الحشد يتدربون بها على يد شقيقه لورانس.

كان الهدف من إجراء عملية المسح هذه إمكانية التخطيط الهندسي لندشين أحد الشوارع الجديدة، وكان من بين هؤلاء المساحين مجموعة تخصصت في جرد الجنائز، وأنحرون بشولون نقل الآلات من مكان، إلى مكان ثم يمحسون أحدهم بإحدى عيبه آلة البوصلة المثبتة أمامه على أحد الحوامل ذات الأرجل الثلاثة على أن تتحرك أيديهم بطريقة واحدة لا تتغير.

كان جورج بين أصحابه يرصد كالقط تلك العمليات وهو يأمل أن ينحرف في صفوفهم لمساعدتهم، وقد واثته الفرصة حين انسحب أحد الرجال من الميدان لحظة فد أصابته فأرغته على الخروج تاركاً مسؤولياته لزملائه، فأسرع جورج لشغل دور هذا العامل المرمي وتولى باليابة عنه القيام بجر الجنائز وهي الطريقة التي أعجبه وجعلته إليها.

وفي أثناء العمل راح يسأل كبيرهم عن الأجر الذي يتفاداه لو أنه عمل معهم مساعد مساح، فتلقى جواباً عن طبيعة الأجور صادف هوى في نفسه، وقرر المضي قدماً في هذا الأمر لمساعدة والدته وأشقائه؛ خاصة أن غياب الأب المفاجئ قد ألقي بكل تبعاته وسلبياته على مسار الأسرة التي أصبحت في مهب الريح تعاني شظف العيش، وتشكو قلة الحيلة والراد.

للهسم . اتجه جورج إلى منزله للبحث في مخازنه عن عجلة معرلة كانت ملقاة بداخله منذ سنوات وبحث عن صندوق كبير أسود اللون له يد حديدية مربوط به عدد لا بأس به من الحصى، والذي يستخدمه الملاحون عند قياس الأراضي، وكان والده شديد الاعتناء بوجود مثل هذه الآلات في منزله لقياس المزارع التي كان يعرض على شرائها وزراعتها.

وقام جورج في التو بنشر أرجل الحامل الثلاثة وقام بتثبيتها على الأرض ثم أخرج البوصلة ووضعها في موضع سليم على أن تلتقي بهذه الأرجل، وسرعان ما صرخ من أعماقه بما يشير بأن الأدوات سليمة ولم تتعرض للتلف.

وفي التو ودون تردد قرر جورج أن يعمل مساحاً، ولأنه كان يترك أهمية تحصيل علوم الرياضيات لكي يجيد تلك المهنة قرر أن يلجأ إلى جاره المستر ويليامر استاذ الرياضيات للتزود منه والاستعانة من علمه حتى يتسنى له فرصة العمل مساحاً يستطيع عمل التخطيط والقياس.

وجلس جورج يفكر في هذا الأمر، وهل يفتح آباء لورانس في هذا الشأن عبر رسالة مطولة يشرح بها أسباب شغفه بتلك المهنة وما تدر عليه من أرباح تعضد من حال الأسرة وتشد من أزرها، أم أن لورانس لن يتقبل مثل هذا العمل الشاق لمن هو في مثله سنة ١٩

وقبل أن يفرغ جورج من هواجسه التي كانت تهيج في رأسه كأنها مظاهرة، سمع الباب يندق فأمرع ناحيته ليستطلع القادم إلى منزلهم فإذا به ساعي البريد الذي جاء حاملاً إليه رسالة من شقيقه لورانس.

وقام جورج على الفور بقراءة نص الرسالة التي عرض بها لورانس فكرة لاقت قبولاً وترحاباً لدى جورج؛ حيث أحبره أن البحرية قد أصدرت إعلاناً تطالب فيه

التياب بالانحراط في صفوفها إذا نوافرت لديهم الشروط الصحية والذهبية والمخسدية ..

ربما كانت هذه الفكرة هي التي كاد يحلم بها جورج حيث تاق مد نعمة أظفاره لأن يكون صابطاً من صباط البحرية؟ لقد راودته صورة القبطان البحري والبحارة الذين أنقذوه من الفرق وراح يتجادل معهم أطراف الحديث حتى أنه تطلع إلى اليوم الذي يصبح فيه بحاراً يشق بميته عباب الحار ويكسر أمواجه العيمة ..

ثم ما أروع أن يعمل صابطاً في البحرية البريطانية، وهل يمكن أن يكون يوماً ما أميراً للبحار تروى عنه البطولات والحكايات كما اعتاد لورانس أن يقص على مسامعه خوارق وبطولات الأدميرال «هرون» أمير البحار؟ وراح يستسلم لحيلاته حتى وجد نفسه مرتدياً الثياب البحرية وقد تربت بالأوسمة والياشين الملكية المحلاة بالذهب وظل جورج بعض الوقت مطلقاً بأجنحته في سماء خياله الخصب، شاحصاً بصره نحو صورته المستقبلية بوصفه أمير البحار (جورج واشتطن) مضرب الأمثال ورمز البطولات وأمل الأمة حتى باعته والدته بقولها

جورج ماذا دهاك أراك مذهولاً، ماذا بك يا بني؟

لم يكن جورج قد استرد شخصيته بعد لجيب على أمثلة والدته، ثم ما لبث أن استوعب ما يجري من حوله بعد أن جدته أنه بصوتها الصاحب وأستلثها المتوالي على رأسه.

وتقدم جورج نحوها بحطوات ثقيلة راجياً من الله أن تسمح له بالانحراط في البحرية البريطانية خاصة وأن موافقتها شرطاً رئيسياً من شروط الانضمام نظراً لسنة الذي لم يكن قد تجاوز الرابعة عشرة وهو ما يجعله يستقد شرط الانضمام دون الحاجة لموافقة ولي الأمر، وراح جورج يقرأ على والدته بصوص رسالة شقيقه

لورانس، بيد أن الأم قد صرخت في وجهه وهي تضرب الأرض بقدميها احتجاجاً على تدخل شقيقه في شئون بيتها، ومن ثم أعلنت بعلن جوفها ومن أعماقها رفضها القاطع والحاسم لهذا الأمر.

لكن جورج الذي تأقت نفسه للانضمام في صفوف البحرية راح يلح على والدته لكي تجمعه رضاها ومباركتها، بيد أنها طلبت منه أمام إصراره والحاحه أن تبحث بحطاب إلى شقيقها «جوزيف بول» تستشير فيه، وتستطلع رأيه في هذه المكرة ومن ثم يمكنها أن تحدد موقعها من تلك المكرة.

وامتثل جورج لهذا الاقتراح ظناً منه أن خاله جوزيف سوف يشارك مثل هذا الأمر، غير أن خاله أرسل رفاً عاجلاً يتوصل فيه إلى والدته بعدم الاندفاع في مثل هذه الأمور؛ حيث أن العمل في البحرية سوف يعرض لابنها جورج للتعب والكد والمعاناة والتميز والضرب والتعذيب والاضطهاد، خاصة وأن البحرية البريطانية لا تتألى بالمقرءاء الذين لايتبنون إلى النبلاء والأمراء، بينما تبدي سخطها ولادراءها إزاء من هم على شاكلة جورج، وعاد جورج أدراجه لينظم أولويات حياته، ومن ثم قرر العودة إلى الانخراط في عمل المساحة مع بعض العمال الذين يعملون في نفس المجال..

وبعد أن اكتسب جورج الخبرة قرر أن يعمل بمفرده ولم يكن قد مر على انخراطه في صفوفها أكثر من خمسة أشهر؛ وذلك لرجاحة عقله ودكانه وقدرته الفذة على الفهم والاستيعاب.

وراح جورج يعلن للكافة أنه قد أصبح مساحاً يستطيع القيام بأي عمل يوكل إليه بمفرده دون الحاجة إلى مساعدة الغير أو الاستمانة بحجراتهم، وبعدها تلقى عرضاً بعمل مسح كامل في إحدى المزارع، وقد أجاد وربع في مهته وقد تهاصى أجراً بلع في حينه جيهاً وحفه من الشكليات نظير نجاح عملية المسح التي قام بها

وداع صبت جورج بين المزارع حتى أصبح ذو شأن في مجال المساحة، وحين  
أدرك أهمية دوره وسبوعه المكور في مسح الأراضي قرر الرحيل من بلدته «غري  
فارم» والانتقال إلى بيت شقيقه لورانس في مالونت هونون..

وعقب وصوله إلى هناك نما لعلمه أن اللورد الثرى فيرفاكس الذى اشتهر بأنه  
أعنى الأعياء حيث يملك بمفرده حوالى خمسة ملايين من الألفنة قد وصل من  
المهترا وسوف يحل صيفا على المدينة ولن يتردد لورانس بالطبع فى الالتقاء به كما  
هو معتاد .



## اللورد المتواضع

وحدث ما توقعه جورج حيث التقى مع اللورد فيرفاكس من خلال الصداقة الحميقة التي تربط شقيقه لورانس به منذ سنوات..

كان اللورد فيرفاكس قليل الكلام كثير التأمل محب للقراءة، يهوى المطالعة، لا يميل إلى محالطة الناس، ولا يميل من الاختلاء بنفسه، وهي كلها عادات تتعارض مع ما تتميز به ابن عمه السير ويليام الذي لا يكف عن الثثرة وإطلاق الصيحات والكلمات والفحش والذهابات. في إحدى ليالي الشتاء الطويلة استقبل اللورد فيرفاكس ضيوفه الذين وفدوا على بيته للاحتفال بأعياد الميلاد ورأس السنة الجديدة، وكان من بين هؤلاء الضيوف لورانس وجورج، وقد انخرط لورانس في صفوف المحتشدين فيما راح جورج يقف على باب غرفة الاستقبال يتأمل المشهد الذي لم يكن مألوفاً له.

كان لورانس وروجه «آن» كعادتهما في صدارة صالة الرقص، وقد أحقبهما جورج فيرفاكس شقيق «آن» وخطيبه سالي كاري تلك الفتاة التي تمتنع بصمات رائعة من حيث سلامح وجهها وهودها المشوق وشعرها الذي يتهاوى في دلال على وجتيها وعبيها الواسعتين حتى أن جورج قد أدرك في التو أنها أجمل فتاة في داخل الحفل.

وحين رقت هيئته على شقيقته الصغرى فكر لدعوتها لمراقصته، لكنه أبى وتراجع خوفاً من ألا تلبى مقصده.. ثم سرعان ما قرر بعد أن أشار عليه شقيقه لورانس بالمجيء إلى صالة الرقص وهو ما دفعه للتقدم نحو الفتاة الصغيرة التي طلب منها مرافقته لصالة الرقص وقد تملكه الحجل حتى أنه فوجيء بأنها أجابت

طله هون تردد أو تفكير، وإن كان قد شعر بالدم من ذلك حيث رأى في ملامح تلك الفتاة الصغيرة صورة فتاة كان قد أحبها في مقتبل صباه لكنها ابتعدت عنه في تطور معاجيء لم يكن متأهباً له مما كان له أكبر الأثر في عواطفه التي باتت لا تدفع لسج مثل هذه العلاقات العاطفية التي من شأنها تحطيم قلبه الذي بدا له وكأنه من رجاج يمكن لأية فتاة ألا تردد في كسره وتحطيمه وتهشيمه

على أية حال بدا جورج أمام لورانس شقيقه أنه منهمكا وعارفا حتى أدنيه في مراقبة تلك الفتاة الصغيرة، وإن كان لا يبادلها النظرات أو الكلمات الناعمة الطرية التي تسحر الالاب وهو ما لاحظته السير ويليام الذي يادر اللورد فيرفاكس بقوله:

- يحيل لى أن جورج هذا الولد الصغير شقيق لورانس يتمتع بالسلوك القويم؟  
حيث أنه كما لاحظ حجول للمعاينة من المجلس الآخر أليس هذا صحيحاً!

فأجاب اللورد فيرفاكس بخبرة الشيوخ: لا . لا . . إن ذلك بسبب بواحث  
الأكم والآخرن الذي عانى منه بعد وفاة والده وهو فى سن مبكرة.

كان اللورد فيرفاكس معروفا بكرهيته للنساء بعد أن خاض تفاصيل علاقة عاطفية مع سيدة لم تكن قد أحلصت له كما أحلص هو لها، الأمر الذي يشعر معه اللورد فيرفاكس أنه فى غنى عن الاحتلاط بأية امرأة حتى لا يعاود مثل هذه التجربة القاسية التي ألمت به كثيرا ومازالت تلقى بظلالها عليه رغم محارلاته وجهوده الشاقة فى سبائها.

كان اللورد ينجذب نحو الفتى جورج يوما بعد الآخر، حيث راقبت له طريقة جورج فى امتطاء جواده ورشاقته وقدرته على تلقين الجواد دروساً عملية يقوم بها الجواد بمجرد تلقيه الأوامر من جورج، فضلا عن مهارة جورج فى تربية كلاب

العبيد والاعتناء بها . ثم إنه أحب في جورج رجولته المبكرة، ورجاحة عقله وحكمته وسلامة منطقته ورحمته، وإجادته القيام بعمل مسح الأراضي بمفرده.

وأمام هذه الأسباب المتعددة لطاقة الإعجاب التي يحصلها له اللورد في صدره أحس جورج أن هذا الرجل بات عوصا عن والده، وراح يتقرب من الرجل رويدا رويدا كأنه أحد أبنائه حتى يادره اللورد ذات يوم متاثلاً.

- قل لى يا جورج . . هل يمكنك أن تتولى القيام بإدارة بعض أعمالى فى مسح الأراضي؟

كان جورج أثناء سماعه تلك العبارة الاستهزامية يود أن يرقص أو يقفز فرحاً وطرباً على الأرض، أو أن يصرخ صرخة مدوية لعلها تبلغ مسامع والدته المكينة . . مشاعر المرححة احتشدت فى قلب جورج وكادت تدمع حينها، ها هى الدنيا قد أشرفت ببورها، وها هى السماء قد أمطرت بكرمها . . أوه ما أروع شقيقى لورانس هذا الذى صاع لنعمه مثل هذه العلاقات الثمينة!

كانت ملايين الأقدنة التى يملكها للرجل فى حاجة إلى عمليات مسح لراعتها أو بيعها فيما بعد، وكان جورج غير فاكس شقيق أن زوجة لورانس يعمل مساحاً فى نفس الضيعة الشاسعة يرافقه رجل آخر ذو خبرة واسعة، وسوف يكون جورج واشطلى هو ثالثهم إن أراد ووافق أن يكون ضمن فريقهم

وبالطبع وافق الفتى على الفور، وكيف لا يوافق وقد كان ينتظر مثل هذه الفرصة الذهبية للإنهاء فى عمل لا ينتهى حتى يستطيع تدبير أمره، وشراء مزرعة بمفرده وتأسيس بيت جميل بداخلها بعد أن يتمكن من تجميع مدخرات تساعد على شرائه الذى طالما حلم به طوال السنوات العاتية.

## الفصل الثاني

### مذكرات جورج واشنطن

حيث تسلم جورج مهام عمله الجديد راح يقرر تدوين الأحداث اليومية واللمحات الدقيقة التي يعيش تفاصيلها يوميا . .

ففي يوم الجمعة الموافق للحادي عشر من شهر مارس ١٧٤٨ اتفمس جورج في تسجيل أحداث ذلك اليوم . . فقد شهد صباح هذا اليوم قيامه مع جورج فيرفاكس عبر جواديهما برحلتهم في حقول التبغ الضخمة، وساتين الكريز الوردية تحيط برحلتهم من كل صوب وحلب . حتى راحت تندر معالمها كلما طال زمن الرحلة وشن الجواد طريقه حتى بلعا معا الأراضي الخلباء .

في صباح اليوم التالي استيقظا معا وقد اكتشف واشنطن أنهما قطعا نحو أربعين ميلا وقد التقيا في طريقهما كير المساحين المترجي، وتبعهم واشنطن مشاقا أحراش الخمال طوال هذا النهار حتى وصلوا إلى قمة جبال البلوريدج بعد ظهر نفس هذا اليوم، وقد بدا لهم في أسفل وادي شانلوا ذو المنظر الرائع وقد اتبسط أمام أعينهم في لوحة جميلة لا تمل منها العين، كان جورج واشنطن لا يعبأ بروحة تلك الصور الطبيعية الرائعة؛ حيث كان في تلك الأثناء يتصورجوعا ويكاد يقع مضطبا عليه من فرط هذا الجوع الذي التهم معدته التي بدت تخاوية حتى من الصبر، ومن ثم كان مسهمكا في حساب زمن العودة إلى الصلق الذي يقيم فيه للنوم وتناول الطعام . .

وفي صبيحة يوم الأحد الثالث عشر من شهر مارس ١٧٤٨ سار الثلاثة ومن يهم جورج نحو منع النهر قاصدين كوخ الصيد الذي يعد ضمن ممتلكات اللورد فيرفاكس . كان جورج شديد الإعجاب بما شاهده من أشجار الاسفدان ومن

الأراضي التي تتميز بجودتها وخصوبتها التي تحضرت وتلونت على يد المستوطنين الجدد، هانتجوا منها قمحاً وثبغاً بعد أن كانت جرداء صفراء

وفي يوم الثلاثاء الموافق الخامس عشر من مارس ١٧٤٨ سجل جورج في مساء هذا اليوم أنه في هذا الصباح قضى ساعات هذا النهار في مسح الأراضي، وقد أكد أنهم وصلوا إلى ما يطلقون عليه «المارش» فخصوا يومهم كله في عمل لا يتوقف، ولأن جورج كان يشكو ألم الإجهاد والتعب فقد استسلم للنوم في كوخ أحد رواد تلك الغابات وقد خلغ عنه ملابسه كما اعتاد في منزله أو الفندق الذي يذهب إليه من ثم ذكر في يومياته قائلاً: «ذهبت إلى ما يطلقون عليه الفراش أو معدع النوم... ووجدته باللهول حرمة من القش المتبلد العاري لا توجد ملاءة، بل لا يوجد أي شيء باستثناء ملحمة عمدة كانت وكرا للفعل والبراهيث»

وهنا أدرك جورج أنه تعجل في خلغ ملابسه وعاد مسرعاً لارتدائها مرة أخرى ثم راح يتمدد على الأرض بجوار زميله أمام الموقد محتمياً من شدة البرد

وفي يوم الجمعة كان قد مر على وجودهم في تلك الحبال نحو أسبوعها كاملاً، وقد بلغ بهم المسير نهر (البوتوماك) هانتشموا أنه مكتظ بالنفوح المائية المسافطة لنوها من الغمم الحبلية وأمام تلك العقبة دفعوا حيولهم في وسط النهر لكي تمكن من عبوره سابعة إلى شاطئ مريلاند وعلى إثر ذلك توجهوا صوب أحد المراكز التجارية الهندية، وقد ذكر في اليوميات: «لقد قطعنا أميالاً على أبشع طريق يمكن أن يمر عليه إنسان أو حتى حيوان، وقد كانت الأشجار المسافطة التي تراكت عليها الأعصان والشجيرات التي غاصت في مياه الأمطار من أبرز المعوقات والمشكلات التي واجهتنا أثناء سيرنا في هذا اليوم خاصة وأن السماء ظلت ترعد وتبرق وتقطر دون توقف».

وفي يوميات الأربعاء ذكر أنه في تمام الساعة الثانية من عصر هذا اليوم شاهدوا حشدا هائلا من اليهود في طريق عودتهم من ميدان الحرب، وقد بلغ حشدهم أكثر من ثلاثين رجلا، وكان معهم قروة رأس واحدة فقط بعد أن تعاطوا الخمرور انعموا جميعا في وصلة رقص أطلقوا عليها رقصة الحرب..

وداح جورج يكتب واصفا هذا المشهد بقوله «أما طريقة هؤلاء اليهود في أداء الرقص فهي غريبة ومثيرة، حيث ينصبون حلقة واسعة ويوقدون في قلب هذه الحلقة شمعة هائلة من السار المستعرة، ثم يجلسون حول تلك النار وينطلق أمهرهم في الرقص على أن يتبعه الكل فيما بعد فيقفر ويجرى ويدب الأرض بقدميه بطريقة كوميدية، وكان لافتا للنظر عدم اصطحابهم لآلة آلة موسيقية باستثناء جرة من الماء عليها جلد غزال وقطعه من اليقطين ربط فيها قطعة من ذيل فرس وبدأ عليها قليل من الرصاص حتى يحدث الرصاص صوتا مدويا فكان أحدهم يرح اليقطينة فيما كان الآخر يطبل على أن يرقص الجميع بلا هوادة»

ومر يوم الخميس على نفس المنظر في تلبيد بعضاً من الوقت في سادلة الحديث مع اليهود الحمر.

وقصى جورج واشنطن الأسبوعين التاليين في مسح الأرض برفقة زميله، حتى أنهم كانوا يحجرون نحو خمسمائة هناد يوميا وربما أكثر من ذلك في بعض الأيام الأخرى.

بعد انقضاء النهار في مسح الأراضي يحلد هؤلاء الثلاثة للوم في إحدى الحيام التي شيدوها، ويتناولون طعامهم من الدنيوك الرومية التي تقع في مخابئهم المتصورة ثم يقومون بذببحها وتنظيفها وشواتها على نار هادئة

وهي إحدى الليالي امتدت نار الشواء إلى الأعشاب الحافة للمحيطات بالخيمة التي  
يعترشونها للنوم، وقد تعرضت تلك الخيمة إلى الاندثار في مهب الريح بعد أن  
هبت عاصفة عيفة أودت بقلوعها المضروبة في باطن الأرض.

وفي يوم الأحد الموافق للعاشر من أبريل حملوا أمتعتهم وفكروا روابط الخيمة  
وامتطوا جيادهم متجهين نحو جبال البلورينج، وفي يوم الأربعاء الذي يوافق الرابع  
عشر من أبريل ١٧٤٨ عاد المستر ميرفاكس إلى يته سالما، وبالتالي بلغ جورج مآمه  
في بيت شقيقه لورانس . وقد وصف مشاعر العبطة التي استحوذت عليه لدى  
هودته سالما من تلك الرحلة الوعرة الشاقة التي أجهدته وأرهقتة وإن كانت قد أكتسب  
الكثير ممن لم يكن يتوقعه.



## هجرة شقيقه لورانس

بعد أن عاد جورج واشطن من رحلته الطويلة التي تعد الأولى من نوعها، أوكل إليه العمل في مسح الأراضي في مدينة الاسكندرية الجديدة ومحاولة تحطيطها وهي تطل على نهر النيلونوماك، وإن كانت تبعد عن ماونت مريون حوالي ثمانية أميال.

ومح جورج في إنعام مهمته، وجرت جميع الطقوس والاستعدادات لبيع قطع الأراضي في مراد على وقرر شقيقه لورانس أن يتواجد في هذا المراد في أحد الأيام التي تلت مسح الاسكندرية اشتمكى لورانس من ألم غريب يكوى جسده، وقد بدا مرتبكاً لا يدري من أمره شيئاً.

وأحس جورج أن الدنيا سوف تصبح في حبه رعم تقدمه وبحاحه المدهل يوماً بعد الآخر، بيد أنه أحس أن شبح والده بدا يطل أمام عييه بين حين وآخر هفب رؤيته لشقيقه لورانس الذي تمعد على فراش المرض مستلماً له

في ربيع هذا العام وببما كان لورانس طرح الفراش بال جورج اعتمادة المساحين الخبراء في أن يكون أحدهم اهترافاً منهم بدوره وبراعته

وعاد جورج يتولى مهام مسح الأراضي المحلية التي يملكها اللورد فيرفاكس الذي كان يمدق عليه المال حتى يحبه مشقة العيش ودل الزوال من هذا أو ذاك لمرط حبه وامتنانه وتقديره له على ما يظهره من براعة وإجادة، وراح جورج بدحر أمواله ويكدسها حتى يستطيع شراء أول مررعة له قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره

وبالعمل لمحج جورج واشطن في شراء مررعة مكونة من ألف هدان وتبع ذلك شراؤه مررعة أخرى بلغت مساحتها أربعمئة وستة وخمسون هداناً وذلك قبل أن يحل عيد الميلاد ببصعة أيام، وقد انطلق لزيارة أمه وأشغاته في رفرى هارم ولزيارة شقيقته بيتي التي تزوجت في مرد ريكسبورج من مسنر لويس

امتقلت الأم أنها بحفوة بالغة حيث أعطته بقلاتها، ودثرته بحضنها الدافئ،  
الذى تاق إليه كثيرا، ومن ثم راح يركى على صدرها وقد أكد لها والدموع تنهمر  
من مقلتيه أنه فى سبيله لإسعادها هى واشقاؤه، وأنه سيعودهم كل ما فاتهم وأنه  
أصبح من دوى الأملك، وهى الأنباء التى انخرجت معها أسارى الأم وتهللت معها  
بملاحم أشقاؤه.

ولم يتردد جورج فى اصطحاب والدته لزيارة شقيقته يتي التى حمل لها كومة  
هائلة من الهدايا لها ولزوجها، وقد اختلطت دموع جورج بدموع شقيقته يتي التى  
وعدها بتوفير ما يلزمها من مال إذا ما لزم الأمر واقتضت الضرورات ذلك

وبعد أن قضى جورج بحر أسبوع بصحبة والدته واشقاؤه عاد أخرجه إلى مرمرته  
لمباشرة أعمال بها، وبمهرته التى لا يستطيع الاستغناء عنها كأحد أمهر الماسحين  
وأبرزهم على الإطلاق ومع عودته إلى مرمرته كل على به رغم مشقة السفر أن  
يستبدل ثيابه ويتوجه لرؤية شقيقه لورانس للاطمئنان على صحته، بيد أنه لاحظ  
اعتلالها وتدهورها بشكل ملحوظ التى فى قلبه الرعب من سوء المقلب

فى تلك الأثناء كان لورانس قد قطع على نفسه القيام برحلة إلى الجزائر الهندية  
لعله يسترد صحته وعافيته بعد أن يتشوق هوامها السقى، على أن يدع زوجته لا  
يصطحبها حرصا على صحة طفلتهما الجديدتين، ومن ثم قرر جورج اصطحاب  
شقيقه فى تلك الرحلة مضحيا بكل أعماله فى سبيل البحث عن شعاء لورانس الذى  
أحبه وعلى أهبة الاستعداد ليدل أى جهد من أجله.

وسافرا معا من نهر البوتوماك وبعد مرور أربعة أسابيع فى عرض البحر هبطا  
إلى جزيرة ياربادوس ذات الأراضي الخضراء حيث أنها تشتهر بزراعة قصب السكر  
والأنناس.

ودعم روعة المناخ ودفع الشمس وبقاء الجو كانت صحة لورانس تتدهور شيئا فشيئا، وقد تعرض جورج للإصابة بالجدري ولهذا عاد من هذه الرحلة التي أبهر فيها للمرة الأولى والأخيرة في حياته مشوه الوجه حتى أن لفظ أنفاسه بعمل الجدري . .

وفي عام ١٧٥٢ تدخلت يد المنون ورهق لورانس أنفاسه الأخيرة على صدر شقيقه جورج وهي وجود طعنته وروجته، ولم تكن مفاجئة تلك الوصية التي تركها لورانس والتي أوصى خلالها بتخصيص الجزء الأكبر من أملاكه لأخيه جورج كما أنه قد أوصى له بمنزله الكبير في مزرعة ماونت فرنون.

وهكذا تلقى جورج الصدمة الثانية بعد صدمته الأولى التي تلقاها في صغره بموت أبيه، وإن كانت تلك الصدمة تعمد بالطبع أخف وطأة وأقل حدة من تلك الصدمة الأولى، فقد تركه الأب خالي الوفاض فيما خصص له شقيقه مساحة هائلة من الأراضي والأموال والميت الذي يتطلع الجميع للعيش بداحله، ومن ثم لم تكن تلك الصدمة مروعة بل كانت إلى حد ما قلبية نظرا لفراق شقيقه وحرمانه من عطفه وحنانه ودفع مشاعره وإخلاصه، وصنفق بيانه وحماته ورعايته التي احتضنته طوال وجوده في ماونت فرنون.

وأدرك جورج أنه لولا لورانس لظل على حاله لا يملك من أمره شيئا سوى أنه مجرد مآح بجوار والدته دون أن يرتبط باللورد الفنى الذي توثقت علاقته به من خلال شقيقه الراحل . .

ولولا أن هذا الشقيق كان يتميز بإحادة مع العلاقات الاجتماعية ما كانت الأمور قد تغيرت إلى هذا الحد.

---

اليوم فقط أصبح جورج بفضل علاقات لورانس وطية قلبه بملك أكثر من ألف  
وخمسمائة فدان بل وأصبح من أشهر المتاحين، وكيف لا وهو يعمل في ضياع  
أصنى أعياء القارة الأمريكية، وتتردد على بيته ويهل من عطمه ومسروته وعطائه  
وحبانه؟ وكل هذا يعود بالفصل إلى العرير الذي رحل عن دنياه

• • • •

## الفصل الثالث

### حرب الهنود مع الفرنسيين

بعد أن دأب صبت جورج واشنطن في مدينة وليمز بيرج وغيرها عقب هودته من رحلته الطويلة لمح الأراضي المملوكة للورد فرفاكس الخرامية في أحراش الجبال والأدغال والغابات، استدعاه حاكم الولاية الذي أمر بتسليمه بزة عسكرية مزينة برتبة رائد من أجل إرساله إلى مهمة عسكرية خطيرة في تلك المناطق الوعرة التي كان يتردد عليها أثناء عمله، وعلى الفور توجه جورج إلى مقر الحاكم الذي أبدى ترحابا بقدوم جورج ثم سلمه خطابا وهو يقول له بحرم وحسم - كأن جورج في ميدان حربي يتلقى أوامره من قائده - :

إن هذا الخطاب الذي مستعمله في رحلتك سوف تتوجه به إلى قائد حصن فرسي مرابط عند نهر الأواهيو . وهذا الخطاب يا جورج قد أهدرنا دما طويلا في صياغته حتى يكون لائقا بحامل الرسالة ومن بعث بها ومن سيتسلمها، فكيف بصياغة ماهرة هادئة رقيقة لطيفة وإن كانت حاسمة وشديدة الوضوح والدقة . . . إننا يا جورج نطالب قائد الحصن الفرنسي الذي أرسى قواعده داخل بلادنا أن يفاوض منها فورا ودون إبطاء أو تلكؤ، ثم أن مهنتك لا تقتصر على الرسالة وتسليمها فقط بل عليك أعباء أخرى ينبغي إنجازها، على رأسها رصد عدد قبائل الهنود الحمر الذين يتعاونون مع قائد الحصن، ثانيا أن تعرف كم عدد الجنود الفرنسيين الذين يتواجدون في هذا الحصن، ثم أخيرا ضرورة معرفة كم عدد الحصون التي شيدها هذا الحمرال في تلك الفترة الزمنية .

وبعد أن أنهى تكليماته سأله وهو يتوجه إلى مقعده: إذن علمت بما هو موكول إليك يا جورج، ومن ثم أردت أن أعرف متى ستذهب إلى هذا المكان؟

فاجاب جورج في حماس، الآن يا ميلدي . الآن سوف أقوم بتجهيز أمتعتي وخيمنتى وسلاحى وطعامى وشرايى ومتطلباتى، وسأنتجه على الفور دون إبطاء إلى حيث تريدون.

وشد حاكم الولاية على يد جورج واشنطن متمنياً له التوفيق في رحلته والعودة إلى مدينته سالماً قائماً، على أن هناك مكافأة كبرى في انتظاره حال عودته إذا هو استطاع إنجاز مهامه المكلف بأدائها على النحو الذى يتطلع إليه حاكم المدينة.

كانت تلك المهمة التى كلف بأدائها طبقاً لمذكرات جورج قد جرت وقائعها في صباح الثلاثين من أكتوبر ١٧٥٣، أى أن جورج لم يكن قد تجاوز الحادية والعشرين من عمره، وهو ما يبرهن على مدى الشقة التى أولاها له الحاكم فى تلك السن المبكرة، وربما لذلك حرص جورج على إكمال مهمته حتى يكون عند حسن ظن الحاكم.

على أية حال أهد جورج ما يلزمه من كساء وعشاء وشراب وسلاح وبوصلات وهدايا مناسبة للهنود الحمر، ومرشد يهديه إلى الطريق الصحيح أثناء هذه الرحلة الوعرة، ومترجم ينقل ما يدور بينه وبين القائد العرسى لتسهيل مهمته

وبعد أن أتم جورج جميع متطلبات رحلته الطويلة للمحسوفة بالأخطار سواء من الطرق الجبلية المنحدرة، والشاهقة، والملتوية، والحلروية، والدائرية، والطولية، والعرضية وكافة الأشكال والأنواع، أو محاطر لقائه مع الجيش العرسى، أو مع قبائل الهود الحمر، أو مع عصابات الطرق التى لاهم لها سوى الانفصام على أية قافلة تمر بالقرب من أوكارها.

وانطلق جورج ووصل فى مدة رحلته إلى فرد ريكسورج لزيارة أسرته واحتضان والدته وودائعها، وقد أخبر والدته بمهمته وفائقها فى حاجته لرجل يجيد التحدث

باللغة الفرنسية؛ لكنى يكون معينا فى هذه المهمة فأرشدته والدته إلى أحد أبناء فردريكسبورج الذين اشتهروا بإجادة اللغة الفرنسية وطلاقتها، وهو ما أطمأنت له نفس جورج، وعرض على الرجل عرضا سخيا أقبله بالسفر معه فى الحال .

وانطلق جورج بصحبة المترجم إلى جبال البلوريدج بواسطة جواديهما، وبعد مرور عشرة أيام وصل الرجلان إلى أبعد نقطة وصلها جورج فى رحلته السابقة داخل العابات، ومن ثم أترك أنه بات فى حاجة إلى مرشد يهديه إلى حيث يوجد الحصن الفرنسى، وكان أن التقى عرضا مع رجل كان جالسا على باب حاتوت صغير يدعى «كريستوفر جيت» وعرض عليه فكرته فوافق الرجل وأغلق حانوته وامتنى هو الآخر جواده ثم أبدى اقتراحا لجورج بضرورة استئجار نحو أربعة من الرجال الأشداء الأكفاء الذين يجيدون لغات الهود . وبالفعل تمكن الرجل من إحضار هؤلاء الأربعة، وانجهرت قافلة جورج واشتغل إلى قرية هاف كنج عند نهر الأوهايو ..

وفى أثناء الرحلة نما لعلم جورج من بعض المارة أن نحو ثلاثة من قبائل الهود الأحمر قد أعلنوا انضمامهم إلى الفرنسيين وأسقط فى يد جورج الذى أصبح لا يدرى هؤلاء الهنود فى هاف كنج أعداء لنا أم من أصدقاءنا؟!!

وقبل أن يقترب جورج من أبواب المدينة بعد رحلة طويلة ثمت وسط الأنواء والرياح والمواصف والأمطار الثلجية وغيرها من المصاعب الماحية وقف جورج بالقرب من رافدان من نهر الأوهايو للدراسة المكان بدقة وعناية

ومن خلال دراسة جورج علم أن هاف كنج كان رافضا للوجود الفرنسى رفضا قاطعا حيث أنه يرغم أن الأراضى التى استولى عليها الفرنسيون تقع ضمن أملاكه، وكان الفرنسيون قد أدلوا كذبا أن هذه لأراضيههم وقد ردت إليهم وهذه حرية حيث أنها تاريخيا لأرض هندية .

وراح جورج ينصت لمحدثيه للوقوف على حقيقة ما يجرى من حوله في تلك المدينة، وظل منتظرا حتى يتلقى ردا من هاف كنج بالدخول إلى مقره وبالمعل بعث هاف كنج ثلاثة من رجاله لاصطحابه إلى مقره لتبادل الحديث حول طبيعة المهام المكلف بها.

وراح جورج بشرح لهاف كنج العرص من تلك الرحلة، وما يمكن أن يترتب عليهما في حال نجاحها أو فشلها، وانعكاسات ذلك على مدينة السيد هاف كنج نفسه، وهو ما يتطلب دهم المدينة ورجالها لإغماح مهمته في طرد الفرنسيين سلما بدلا من اللجوء إلى الحرب، والشاهد أن هاف كنج أرسل مع جورج نحو ثلاثة من رجاله لاصطحابه وإرشاده إلى الحصن العرسي

وعلى مدار أربعة أيام تبع جورج أثر الهنود للخمير الذين بعث بهم هاف كنج حتى وقعت أصيبتهم على منجر كان يرغرف عليه العلم العرسي الأبيض الذي بدا جميل الصورة برسوم السوس المذهب، وكان في حماية أحد الرجال الذين بدت ملامحه تجمع بين الهنود والفرنسيين، وقد أحبرهم أن الحصن يقع على بعد خمسين ميلا ثم أوقف الرجل قائلا: إن الإنجليز لا يتركون قوة الفرنسيين، وإن الإنجليز أسرى الأوهام إذا هم ظنوا أنهم يستطيعون طرد المقاتل العرسي وجنوده، وهم لن يرحلوا، ثم إن الحقيقة هي صالحهم، فالأرض هي أرضهم بالفعل، فأراضي وادي المسيسي والأوهايو كلها من اكتشافات الرائد العرسي (لاسال) الذي وطئت قدميه عليها منذ عشر سنوات.



قبل أن يقترب جورج من الحصن تذكر وهو يحضى في طريقه على صهوة جواده أن هذه الأراضي هي التي منحها ملك الانجليز لشركة الاوهايو، وكان

لذلك معنى خاص في تقليد جورج، إذ كان شقيقه لورانس يشغل منصب رئيس هذه الشركة حين تم مع الملك هذه الأراضي، ومن ثم كان - حسب رواية لورانس - يسعى إلى تحصين هذه الشركة من غارات الجيش الفرنسي، بيد أن النية قد وافته قبل إتمام رغبته، ومن ثم كانت الممرضة مواتية للفرنسيين لإرساء قواعدهم وتشيد حصونهم

وبعد أن جالت تلك الخواطر في رأس جورج وجد نفسه على مشارف القاعدة الفرنسية وقد أحسن الحاكم استقباله بوصفه الصاغ جورج واشنطن، وقد تلم منه الخطاب في مودة واحترام ثم سرعان ما كتب ردًا على ما ورد في خطاب الحاكم الإنجليزي بعبارة موجزة قائلاً: لن أرحل!

وبعد أن قبل جورج بحماوة وترحاب وتوديعه بحسب درجة الحرارة والمودة، هاد إلى بلاده حاملًا معه الخطاب الموجز الذي بحث به القائد الفرنسي إلى الحاكم الإنجليزي، وفي طريق عودته واجه جورج الثعالب والصعاب مرة أخرى بسبب موجات الرد القارس والمريب خاصة وأن الرحلة قطعت عدد فعايه أكثر من مئاة ميل ومثلها بالطبع في طريق عودته، وهي مسافة طويلة ومرهقة ووعرة وشاقة خاصة أنها تمت في شهر ديسمبر وما أدراك ما ديسمبر

وفي طريق عودتهما واجه جورج ورفيقه الموت أكثر من مرة، حيث نجحت كل الأشياء من حوله بفعل الأمطار الثلجية التي لا تتوقف، ومن ثم كادوا يعرفان معا عند عبور أحد الأنهار المتجمدة، وقد سقط جورج من بين الثلوج في ثغرة كادت تهوى به إلى قاع النهر. ثم واجه الموت حين أطلق عليهما أحد قطاع الطريق من الهود الرصاص طمعا فيما كان في حوزتهما من مال وهنايا لولا عناية الله لهما.

وفي صباح السادس عشر من شهر يناير ١٧٥٤ وصل جورج واشنطن إلى مدينة وليامزبرج الأمر الذي أثار دهشة الحاكم الذي هوجىء بأد جورج واشنطن واقفا متمسكا بقامته العارعة أمامه، ثم عاد لأجابه بعد لحظات وقد بدأ سعيدا مستبشرا من ملامح جورج، وها هو سوف يقص عليه ما حدث في رحلته الخطيرة، وها هي المعلومات سوف يعرفها حول حقيقة الموقف الفرسى ومدى قوته وولاء الهنود الحمر ومواياهم. مستقلا من هذه الأراضى.

وعلى الفور قدم جورج تقريراً وافياً شافياً للإجابة على كل هذه التساؤلات التي كانت بمثابة صدى يلقى رأس حاكم الولاية بعنف، ولا سبيل له للحصول على ما يشفى قلبه هواجسه وظنونه التي كانت تقترسه كلما رآه بخاطره هذا الأمر



بعد أن نجح جورج في إتمام مهمته الأولى والحصول على جميع المعلومات والبيانات التي كان يتطلع إليها حاكم الإقليم الإنجليزي. كلف مرة أخرى بالقيام بمهمة أخرى في نفس المكان بعد مرور حوالي أربعة أشهر من عودته، وذلك لوضع حد فاصل للوجود الفرسى في أراضي الأواهيو.

وتوجه جورج على رأس قافلة عسكرية حاصلاً معه أمر الحاكم العام، ولم يكن خطايا كسابقه خاصة وأن الانجليز كانوا قد قرروا المضي قدماً في بناء أحد الحصون على رأس مدينة هاف كنيج ولكن تصدى الفرنسيون لهذا المخطط حين استولوا على شحنة الأحشاب التي كانت قد وصلت لتدشين الحصن، وهو التصرف الخطير الذي جعل المواجهة العسكرية بين البلدين.

وعند منتصف الطريق وبالتحديد في منطقة «جريت ميلو» أقام جورج معسكراً خاصاً بهرقته العسكرية في معة تحاصرها التلال والري من كل جانب، ثم أنشأ في

التو حصنا مؤقتا ولكن اختيار هذه القعة المكشوفة كان اختيارا غير موفق، وهو ما يبرهن على جهل جورج بأبسط العلوم والعنون القتالية.

وفي ساعة متأخرة من ليلة شتاء كانت مطيرة وجليدية استقبل جورج أحد رسل هاف كنج حاملا معه رساله جاء في متنها أن العرسيين قد ملعوا أماكن قرية مهم للمعاية ويقدر عددهم بنحو ثلاثين رجلا وربما أكثر من ذلك قليلا.

وظن جورج واشنطن أنهم ربما كانوا جواسيس وأن الفرنسيين قرروا مساعدتهم دون إندار ومن ثم هرع إلى إعداد رجاله ونجهير عتاده لمواجهة وشيكة بين ساعة وأخرى.

ورفع اختياره على أربعين من الرجال الأشداء، ومشوا في بهيم الليل المطير يفتحون أثر الهندي رسول هاف كنج وشقت حيلهم الغابات التي كانت سابعة في مياه الأمطار حتى وجدوا أمامهم هاف كنج نومه، وعند بروع خبيوط نهار جديد وقف الهندي وهو يشير بأصبعه ناحية حجرة عميقة في الأرض قائلا،

الفرنسيون هنا يا سيد جورج!!

لم يتردد جورج واشنطن في إصدار أوامره بإطلاق النار على هؤلاء الجنود العرسيين ولم يثن الفرنسيون الرد على قوات واشنطن حيث أصجرتهم المفاجأة التي كانت لصالح واشنطن ورجاله، وعلى أثرها وقع نحو عشرة قتلى ومن طليعتهم قائدهم ووقع الباقين في قبضة الأسر، الأمر الذي بعث على نفس جورج البهجة والسرور رغم الفرع الذي أصابه بعد إطلاق الرصاص الذي سمعه عن قرب لأول مرة في حياته بعد حادث إطلاق الرصاص الأول الذي تعرض له على يد الهنود الحمر، لكن لم يكن يمثل هذه القوة والعنف.

وبعد أن احتفل جورج وجسوده مع هاف كنج بالانتصار الساحق الذي حققه هوجيء في الثالث من شهر يويه بقدم نحو خمسمائة جندي فرنسي تملكهم ثورة

عضب ومن حولهم عدد ضخم من جنود الهنود الحمر لمهاجمة واشنطن ورجاله  
ثارا لزملائهم الذين قتلهم والذين مارلوا في قبضة الأسرى، وزعموا أن هؤلاء الذين  
قتلهم واشنطن ورجاله إنما كانوا رسل سلام يحملون رسالة إلى الحاكم الإنجليزي  
ولم يكن لهم شأن بالقتال.

كان عدد رجال واشنطن في هذا اليوم البائس أقل من نصف عدد الحود  
الفرسيين الذين وفدوا لمهاجمته، فضلا عن هروب هاف كنج وجوده، حيث لمحا  
نصفه من الوفود في مقاومة عسكرية لا تافهة له فيها ولا جمل، ومن ثم أثر الاعتماد  
حتى لا يقع قبلا أو أسيرا راجيا من الله أن يقضى الطرفان على بعضهما البعض  
لعل الأمور تعود إلى سابق عهدها قبل ظهور تلك القوات النظامية سواء كانت  
الفرنسية أو الإنجليزية.

وفي داخل حصن واشنطن أبلى رجاله بلاء حسنا وفشا لما هي حوزتهم من  
إمكانات وقدرات، وإن اضطروا في آخر النهار إلى إعلان الاستسلام.

وعلى ضوء شموع أضاءتها الرياح أكثر من مرة تلا الفرنسيون نص وثيقة  
الاستسلام كي يزيلها جورج بتوقيع، وهي تنص على أن تشتد فرنسا جنودها  
الأسرى وأن يتعهد جورج بالآ يعود مرة أخرى إلى هذه الأراضي قبل مرور عام،  
وقد اضطر جورج تحت وطأة الموقف العسكري المهيمن أن يوقعها في صبق وأسى

وبعد أن قام بالتوقيع سمح له قائد القوة الفرنسية بالمغادرة والعودة هو وجنوده  
إلى ولاية فرجينيا، وقد ألقت هذه الهزيمة بكل شعائرها على معوياته التي بدت أنها  
في أسفل سافلين على عكس ما كان عند عودته من رحلته الأولى

وربما أدى تدهور حالته المعنوية إلى تعرضه لوعكة صحية ألزمته الفراش بضع  
أسابيع في بيته الكائن بمنطقة ملونت هرنون، أثناء ذلك وصلت إلى إنجلترا عدة نماذج

من الوثيقة التي قام واشنطن بتوقيعها، وعندئذ أدرك الإنجليز أن الفرصة نالت موافقة  
للقضاء على المرسيين المتواجدين على الأراضي الأمريكية وذلك قبل أن يستحل  
حظهم وتقوى شوكتهم إذا تحالف معهم الهنود الحمر

وهي بداية الصيف قبل الحزال «برادوك» قادما من إنجلترا لرأس كية الحدود،  
وقد اضطر جورج واشنطن أن يعمل تحت لوائه، ولكنه تلقى نكليهما آخر يهدف إلى  
السيطرة على الحصن الكائن عند رأس نهر الأوهايو، ولأنه كان يشكو لما في بطنه  
فقد حشى أن يتطلى جواده رغم مهارته ورشاقته وبراعته في ركوب الخيل، بيد أنه  
اضطر أن يستقل إحدى العربات المحصنة لنقل العناب الحربي وظل بها عدا على  
ظهره، وكانت العربة تهتز هذا قويا وكان يشكو ويتعمر من الوقت الذي أهدره  
الحزال الإنجليزي، لقد كان الحزال «برادوك» قائدا طامحا في المس، وإن كان يمتنع  
بقدر وافر من الخبرة والحكمة، ولكن كان جوده على العكس من ذلك لا يملكون  
سوى حبرات المواقع التي جرت فقط في أوروبا.

ولم يخطر أي منهم في أية موقعة برية، ولم يكونوا قد سمعوا عن  
وحشية الحروب الهندية ودعائها الرهيب، وقد جهلوا أن الهندي يظل مختبئا خلف  
شجرة ثم يزحف نحو فريسته حتى تنسى له الفرصة للانتقام عليها في الوقت  
الملائم

وبسما كان الإنجليزي في طريقهم إلى مواجهة الحصور المرنية فوجئت القوة  
الإنجليزية أثناء سيرها في قلب الغابات والأحراش الجبلية بمن يطلق صرخة مدوية  
من حولهم ليعقبها وابل من الطلقات النارية التي ألحقت منهم أرواحاً عديدة،  
وأشاعت بينهم حوا من الهرج والمرج والقوضى التي سادت المكان، الأمر الذي دعا  
الحزال برادوك للصراخ في وجه رجاله من أجل الحيلة شملهم بعد أن تبعثرت

قوتهم، وقد كان جورج على حالة يشكو آلام الحمى التي أصابته ولم يكن قد شفى منها بعد.

ورغم ذلك فقد اتهاled الرصاص من حوله حتى كاد يسقط قتيلا من هول الطلقات التي كانت تساقط بالقرب منه، حتى أن جواده الذي كان يعشفه قد سقط أثر طلقات نارية اخترقته فأردته صريعا . ومن ثم امتطى جواداً آخر كي ينجو بحياته من موت بات وشيكاً وعلى حافته، رغم ما أبداه من شجاعة وجسارة وبسالة رغم شدة آله فقد كان يواجه العدو وبشاسة وحدة لا نظير لها حتى كان مضرباً لأمثال الجنود، نموذجاً للفارس والمقاتل والمختبر المستند الباسل

الواقع أن جورج واشنطن الذي حاصره المرض وكاد أن يشل حركته وانهزم عليه الرصاص من كل جانب لم يكن يبالى بمرضه أو بالرصاص الذي يتساقط كحبات الثلج من حوله، يد أنه كان يشق غمار المعركة يمينا ويساراً حتى أثار عاصفة من الدهشة والإعجاب لكل من رآه وسط أتون تلك المعركة الشرسة العنيفة

ولكن على الرغم من الأداء البطولي ل واشنطن ورفاقه إلا أن المهزيمة القاسية كانت من نصيبهم، حيث تعرض القائد برادوك إلى إصابة خطيرة كادت تؤدي بحياته وقد نقله واشنطن نفسه إلى صاحة للعلاج ظل بها نحو عشرة أيام حتى لفظ أنفاسه الأخيرة متأثراً بإصابته المبالغة، وقد وري جثمانه التراب بعيداً عن عيون الهنود الذين بصطادون فروات الرؤوس.

وفي عام ١٨٧٥ عاود جورج واشنطن الكرة مرة أخرى بصحبة الجنود الإنجليز إلى حصن لومايو . . وما أن لوشكوا على الاقترب من الحصن حتى أشعل الجنود الفرنسيون النار داخل الحصن ثم غادروه على أثر ذلك.

وأمام هذه الواقعة فقد المرسيون كل ما كان في حوزتهم داخل منطقة شمال الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم صبح جورج لعه اسما طيا وبراقا عقب سقوط الحصن وخروج المرسيين.

وهي إحدى المؤتمرات الشعبية، والاجتماعات السياسية التي أقامتها ولاية فرجيسا عقب عودة الجيش معلما انتصاره على المرسيين أشاد الرئيس بجورج واشنطن وهما على انتصاره الساحق وعودته المظفرة قائلا

«دهوى أتوجه بالشكر والعرفان، ثم المنتهة لبطل فرجيسا على ما أبلاه وما قدمه لبلاده من شجاعة وهناء وبذل وعطاء وسلوك اتسم بحس الخلق وإصراره على طرد المرسيين، سواء كان ذلك من خلال انتهاج السلم والحوار أو اللجوء للعنف وإصرام البار وهو ما كان، وإن كانت قد اشتعلت بأيديهم لأنهم كانوا على يقين أننا لن نهذا ولن نلن أو نستسلم حتى تعود لنا أراضينا التي سلبوها منا، وكان جورج واشنطن هو الذي كان وراء هذا الانتصار الساحق وطرد الغزاة من أراضينا» .

من ناحيته أراد جورج واشنطن أن يرد على الحاكم نحيته ومدحه وإطراءه، بيد أن الجماهير العفيرة كانت قد احتشدت من حوله تهته وتقلبه وتعانفه وتحنضه، ومن ثم عجز عن الوصول إلى المنصة رغم محاولاته فبادر الحاكم العام قائلا

«اجلس مكانك يا سيد جورج . . إن تواصلك بعادل شجاعتك قيمة وقامة، وهذا في حد ذاته يعوق قوة أية لغة أخرى هي تقديري . اجلس يا سيد واشنطن»





## الفصل الرابع

### زواج جورج واشنطن

فى مساء السادس من يناير ١٧٥٩ شهدت مدينة وليامز برج حفلا رائعا بمناسبة زفاف بطل مارجيبا جورج واشنطن على لؤملة شابة كانت تسم دون ضيرها بالشراء الفاحش والجمال الطاعى وتدعى مارثا كوستيس.

كان جورج قد شاهد تلك البدة أثناء حفل زفاف فى إحدى الكنائس، وقد بادته إعجابا بإعجاب حيث التفت عيونهما للمرة الأولى فى هذا الحفل ولم تبارح حياه مند تلك اللحظة، وبالتحديد فى أواخر أكتوبر عام ١٧٥٨ وقد راح يستمر من تلك الفتاة التى تتمتع بقدر عال من الجمال، فأخبره أحدهم أنها لؤملة لأحد أثرياء مارجيبا وأنها تملك أموالا طائلة وأراضى شاسعة وطفلة جميلة وطفل رائع، وتتطلع للزواج لمن يدير لها تلك الثروة لكنها لا تريد أى أحد بل هى فى انتظار من نظمن له مصها ويرتاح له قلبها، لأنها ترغب فى الارتباط بمن يمنحها الحب والدفء والحنان كما كان روحها من قبل أن يموت ويرحل عن الدنيا، ووجد جورج نفسه هو الرجل المناسب لتلك الؤملة الشابة الجميلة، وهو الذى يهوى إدارة الأملاك الزراعية ولا هراية فى ذلك فقد كان ولا يزال يملك أكثر من ثلاثة آلاف من الأفدنة وأصبحت مزرعته من أكبر وأوسع المزارع وأوفرها وأكثرها إنتاجا، وزاح جورج يتساءل فى نفسه لماذا لا يتزوج تلك السيدة إنها جميلة وعية وذات سمعة طيبة وفى أشد الحاجة إلى رجل يحميها ويحمى أولادها وممتلكاتها، وهأذا هذا الرجل الذى يملك الصمات والسمات التى تبحث عنها تلك الؤملة العاتة، ثم ماذا فى الأمر؟ إنى اعتبر أن طعلها هم أطفالى بل وسوف أعتى بهما فلا دب لهما أن

مات والدهما وتركهما، ولعلى أصمى عليهما حنتا فقداه ودفن تاقا إليه وجبا  
حرمهما موت أبيهما منه فلمادا لا أكون أنا هذا الرجل؟

وأرسل جورج رسل الحب والوثام إلى تلك الأرملة التي كانت بالطبع تسمع عن  
جورج وبطولاته ودوره في حروب الفرنسيين وانتصاراته وانكساراته واقتترانه من  
الحكام الانجليزى وحطة الوافر من المال والثروة والضيعة والاراضى والدكاه والحكمة  
والعطاء والصداقات وكلها مسوغات أعانت جورج على الارتباط بتلك السيدة الفاتنة  
الحسنة.

وعلى الفور وافقت ودون تردد على عرض جورج واشتطن، وقررا تحديد  
موعد الزفاف بعد أن اشترطت حسن معاملة أطفالها، وعدم التلويح على نحو أو  
آخر بالاستغناء عنهما أو المضيق منهما، وهو الشرط الذى وضعته الأرملة ضمانا  
لحياة كريمة وسعيدة، وهو أيضا ما ألوفى به جورج طوال سنوات زواجه منها

الشاهد أن جورج اصطحب عروسه إلى إحدى المدن البعيدة لقضاء شهر العسل  
فى الشتاء ثم سرعان ما عاد إلى مدينة وليمز بيرج التي كانت بها كل أنواع الترفه  
والخمة والسعادة والمرح.

وبعد انقضاء الشتاء وحلول فصل الربيع حزمت أميرة جورج واشتطن أمتعتها  
وحملتها على متن حربة خشية ضخمة يجرها خيول شابة صبية نشق الارض شقا  
لتبلغ بيت واشتطن فى ماونت فرنون.

وأمام البيت هبطت السيدة زوجته وطفليها باتسى وجاكى ودخلا بصحبة جورج  
إلى البيت الواسع الكبير، وقد كان الخدم والحشم فى استقبال الأسرة الجديدة  
وأبدت العروس ترحابها بهذا البيت الذى شعرت معه بالآلفة والترابط منذ الوهلة  
الأولى رغم أنها لم تكن قد رآته من قبل.

صحيح أنها أبدت بعض الملاحظات الهامة لتغيير بعض من ملامحه واستبدال بعض أثاثه ليتناسب مع أسرة جديدة بعد أن كان متاسياً لفرد واحد هو جورج واشنطن الذي وافق على الفور مبدئياً تفهمه لهذا التغيير الجديد، ومن ثم وجب عليه الرصوح لملاحظات زوجته التي كانت محل اهتمامه ومن مساعديه الذين دونوا ملاحظاتها في معكرة لبدء العمل في الترتيبات لمرعاتها ولتأمرها.

وصعدت الأسرة إلى الطابق الثاني وكان المنظر رائعاً حيث نهر البوتوماك والحدائق العناء تحيط بالقصر من كل مكان ثم تنقل بهم إلى الأماكن المخصصة لإعداد الطعام وغزل الصوف وغرف نوم الخدم.

ثم سرعان ما ألقت الروجة بكل ثقلها على السرير الحديدي بعد عشاء يوم طويل وهي في أوج سعادتها وبهجتها من هذا البيت الذي لم تشعر نحوه بالاغتراب أو الضيق.

أما واشنطن فقد كان ملماً بأصول وقواعد الزراعة ومن ثم كان قد بذل قصارى جهده في زراعة الأرض عند مطلع الصيف خاصة وأنه كان محباً للزراعة وعاشقاً لرائحتها، ويقدر رؤية الأرض السوداء التي شغها بمحراثه وبذرهما بحبويه قد انتبت وانضجرت ونورقت وأثمرت وحصدت وأنتجت.

كان واشنطن جاداً في أداء عمله حيث اعتاد على ذلك منذ أن كان مساحاً لا محل للهزر أو الاسترخاء أو تأجيل عمل اليوم إلى الغد وما بعد الغد، لكنه كان معروفاً بصراحته وشدته وإصراره على إنهاء وإكمال المهام الموكولة إليه أو تلك التي أوكّلها هو لنفسه راضياً الاعتماد على الآخرين.

كان أيضاً مراعياً في تكوين الحسابات والأرقام، وتسجيل المذكرات التي لم يكن يمل من كتابتها يومياً واصفاً كل ما يدور من حوله سواء الأحداث العادية أو الخاصة أو السياسية أو الإنتاجية.

الشاهد أن حياة جورج الجليلة وسط زوجته وطفليها كانت هائلة وسعيدة ولم يورقها فيها سوى إصابة زوجته بمرض الحصبة كما ذكر هو في معرض مذكراته وأنه قد استدعى سالي فيرفاكس ابنة اللورد لزيارتها ورؤيتها للوقوف على حالتها الصحية

وكان يداوم على زيارة أمه وشقيقتها بيتي من وقت لآخر، ويمد يد المساعدة لأشقائه سام وجاك ونشارلي، وأنه - كما يذكر أيضا في سطور مذكراته - كان يهوى زراعة أشجار الصنوبر في فصل الربيع، وأشجار الخوخ والكرز وراح يجرب آلة جديدة لزراعة الشوفان والشعير، وأنه كم تناول طعام العشاء في بيت جورج وسالي فيرفاكس ثم كثيرا ما قام بدعوتهما على العشاء في منزله في ماونت هيرود

وكانت زوجته مارغا الرقيقة منهمة كمادنتها في شغل الجوارب بأبر التريكو وأنه التقى رنجيا مريضا ضام بنقله إلى بيته المداواة والاعتناء به، وأن كلبه البيت ألجيت نحو ثمانية وأطلق على كل جرو منها اسما، وطلاها بالدهن حين تعرضت للإصابة بالحرب.

وأنه قضى ليلة في مرقص بالاسكندرية وكانت الموسيقى رائعة وقد حدث أن توجه ذات مرة لصيد البط واقتناص الثعالب وصيد السمك ثم حرص على وصفا للحياة الزوجية السعيدة التي يعيشها، وأن أحواله بعد الزواج تختلف كلياً عن أحواله قبله، وأن الرواح بحمة والله قد أنعم عليه بروحة رقيقة ناعمة حنون ذكية بارعة غير ثرثرة ولها طفلان جميلان بادلهما حبا بحب، ولم يكن أبداً زوجاً لوالدتهما بل كان جورج بمثابة الأب وربما كان أكثر حناناً من أيهما لو كان على قيد الحياة



## الفصل الخامس جورج والانتخابات التشريعية

بعد أن أصبح جورج واشنطن هو اقرب الناس إلى قلوب أهل فرجينيا وأكثرهم إخلاصا وكندا وعملا في ميل مصلحتهم، أشار البعض عليه بضرورة خوض انتخابات المجلس التشريعي لفرجينيا، حتى يتمكن من خطة الجميع ومحاولة تدليل الصعاب والمتاعب التي تواجههم.

وأمام رغبة جماهير فرجينيا وأمالهم في تنصيب جورج عضوا فاعلا عاملا في المجلس التشريعي اضطر جورج للحضور أمام رغبة أهالي ولايته؛ لعله يستطيع أن يسدي خدماته إليهم من خلال هذا المجلس النبيل الذي يمنح صلاحيات واختصاصات وامتيازات واسعة لأعضائه، وفي عام ١٧٦٠ خاض جورج انتخابات المجلس للمرة الأولى في حياته، وقد تمكن من الفوز على منافسه بفارق في الأصوات برهن على شعبية جورج الواسعة بين أهالي فرجينيا ومدى المثوبة التي ألقيت على كاهله من جراء هذا الفوز الساحق.

وبالفعل أضفى جورج عضوا بايا لا يشق له غبار، يصول ويجول ويستفسر ويشرح ويسأل ويلاحق ويطارد ويلح ويهرح ويلوح بيديه، ويضرب الأرض بقدميه والدعاء تعالى في عروقه من أجل حياة كريمة هائلة لأهالي فرجينيا الذين أحبوه فأحبهم ومنحوه أصواتهم فلم يخفل عليهم بجهد وعرقه وكده وكملحه وبضائه حتى أصبح مرور الوقت أبور وألمح عضو تشريعي داخل المجلس، وغبما لامعا في سماء المدينة، وقائدا سوف يكون له شأن عظيم كما رأى البعض ذلك من خلال شخصيته وإدارته وعلاقاته ومنهجيته وأدواته وطريقة تناوله للأمور.

في نفس العام ١٧٦٠ تلقت فرجينا اتهاماً بسلوك غير لائق إلى اعتلاء الملك جورج الثالث عرش الإمبراطورية الإنجليزية، وقد كان لهذا الخبر أثراً حميداً على المستعمرات الإنجليزية ونوابها، ومن ثم لم تكن فرجينا بعيدة عما يجري داخل الدائرة البريطانية بوصفها واحدة ضمن مستعمرات التاج الإنجليزي

واستقبل أهالي فرجينا الخبر بالرقص والغناء والدعاء الوطني المألوف «عاش الملك فليحفظ الله الملك». وراح البعض الآخر يتناول المشروبات الكحولية طرباً وفرحاً بتلك المناسبة الوطنية.

ورغم الحفاوة التي قوبل بها ملك الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس من جميع أهالي المستعمرات الإنجليزية فقد تلقى قبضته الحديدية على رؤوس تلك المستعمرات، حيث فرض العديد من القوانين الاستثنائية التي تهدف إلى تقييد الحريات، وتكسيم الأقواء ومصادرة الأراء الحرة المستبشرة التي قد تتعارض مع سياسة الإمبراطورية، وهو ما أدى إلى استهجان أعضاء المجلس التشريعي وثورتهم ضد سياسة الملك الجديد.

الشاهد أن الحكومة البريطانية أصدرت قانوناً يتعلق برسوم التغطية، وأمرت المجالس التشريعية في جميع المستعمرات الإنجليزية البدء في مناقشة بنوده والإقرار بما جاء بها من أجل تمريره في أقرب وقت، حتى يمكن العمل به طبقاً للوائح، وفي داخل المجلس التشريعي فرجينا ثار النواب وهاحوا وانتفضوا ضد هذا القانون بعد أن صاقوا درعاً سياسة ملك البلاد جورج الثالث الذي لا يدخر وسعاً في التضييق على الشعوب التي تدور في الملك الإنجليزي.

الحاصل أن جورج المذكاته السياسي أدرك أن ثورة النواب وهياجهم ضد سياسة الملك قد لا تؤتي ثمارها، وربما تدفع فرجينا إلى مجهول لا تحمد عقباه خاصة

وأن الملك جورج الثالث اشتهر دون غيره بضيق أخفه ونفاد صبره وهو ما يتطلب التعقل والتروي عند تناول أية قضية يمكن أن تؤثر بالسلب على فرجينيا وشعبها.

وبعد أن أعلن النواب تدميرهم وسحقهم واستيائهم من رسوم قانون التمتع بالحديد، وقف جورج واشطن بقمته العارعة وملامحه الحادة المتجهمة وقد أبدى اقتراحاً يقضى بضرورة الكف عن الهجوم الحاد والعبث على الملك جورج الثالث مع التعجل في كتابة رسالة عاجلة يوقع عليها جميع أعضاء المجلس تعبر عن ضيق الأعضاء بما ورد في قانون التمتع، واستحالة تطبيقه على أرض الواقع، لما له من مردودات سلبية وخطيرة على حياة الناس، وهو ما قد يدفع بالأمور إلى ما لا يمكن أن يتوقعه أحد ولاقت الفكرة قبولا وترحابا من جميع أبناء المجلس التشريعي بما فيهم الأعضاء الذين صرخوا وهاجوا وثاروا وصاحوا بأعلى صوته للإعلان عن رفضهم لهذا القانون.

لكن على الرغم من وجاهة فكرة جورج وحكمتها الثالثة فقد رأى رئيس المجلس أن هذه الرسالة في تقليده بمثابة تهديد وإنذار لحالة الملك جورج الثالث وهو ما لا يستقيم بحال من الأحوال مع جلالته، ومن ثم رفض أن يسمت بها، فصلا عن أنه - رئيس المجلس أصدر قراراً عاجلاً يعبر عن مخاوفه وهواجسه، وذلك بحل المجلس التشريعي تمهيداً لعصب الملك الذي سوف تصل لمسامعه أثناء ما حدث وقد يتطلب الأمر إنزال العقاب برئيس المجلس، الذي اضطر صاغراً لتأمين موقفه وإثناء رأيه مما حدث من اضطرابات وذلك بحل للمجلس التشريعي، وحدث أن قوبل هذا القانون التعفي بمظاهرات واحتجاجات صاخبة في جميع المستعمرات الإنجليزية، الأمر الذي أدى إلى تجميده وسحبه من للمجلس التشريعي إثارةً للسلامة بعد أن كثرت الجماهير العاضبة عن أنيابها وثارت أعصابها وإن استطاعت أن تتحكم بها في تلك المرة.

ولكن كمادة المستعمر الإنجليزي فقد ألف حول القانون العرفي وذلك بإصدار قانون آخر يقضى بضرورة فرض رسوم ضريبة على جميع السلع المباعة والواردة من إنجلترا ومن ثم راحت السلطات البريطانية تفرض رسوماً باهظة على الرجاج والأطباق ومواد الباء والشاي والألوان والدهانات والملابس والمنسوجات

ولأن أبواب (الكابيتول) أو للمجلس التشريعي بفرجينيا كانت معلقة أمام الأعضاء ولم يعد بمقدور أحد منهم إبداء رايه من حيث القانون والدمستور داخل قاعة المجلس فقد اضطر الأعضاء على التوجه إلى مطعم (رالى) للاجتماع بداخله من أجل مناقشة هذا القانون التعفى الذى أدى إلى تدمير جميع فئات أبناء فرجينيا.

وعند بدء افتتاح الجلسة داخل مطعم رالى كان جورج واشنطن واقفاً وفى يده ورقة تأملها طويلاً قبل أن يقرأ منها ثم، سرعان ما راح ينظر إلى الجميع فى ثبات كأنه يطلبهم بالكف عن الكلام حتى يبدأ كلمته التى يبنى أن يسمعها الجميع، وبالفعل اضطر جميع الأعضاء الحاضرين والجمهور العميرة التى كانت تقف خارج المقهى إلى الالتزام بالصمت لسماح ما سوف يرد على لسان جورج واشنطن هذا الشاب النبىء والواحد. ثم راح جورج واشنطن يقول بصوت عالى البراث:

هذا الذى فى بدى خطاب وارد من فيلادلفيا يبلغنا أن شعبها اتفقوا جميعاً على مقاطعة السلع التى فرضت السلطات الإنجليزية الضرائب عليها بغير وجه حق وبما لا يتناسب مع الأعباء المعيشية الثقيلة التى يتحملها المواطنون ومن هنا . وقد قرر أهالى فيلادلفيا عدم الشراء من تلك السلع إلا بعد أن تراجع الحكومة فى لندن وتسحب هذه القوانين الظالمة؛ ولذلك اقترح عليكم أن تتخذوا من مثل هذا التصرف العبقري نموذجاً يحتذى به من أجل التعبير عما فى صدورنا، ومن ثم أدعوكم جميعاً ودون أن يستثنى أحد بمقاطعة هذه السلع وعدم شرائها إلا بعد أن يتقرر رفع الضرائب المفروضة عليها.

وقبول اقتراح واشنطن بتصفيق حار وشعارات وطنية وكلمات حماسية من الجماهير والأعضاء معاً، وقد أبدى جميع الأعضاء موافقتهم على هذا الاقتراح وسرعان ما وردت أخبار تشير إلى أن أهالي ماشوسن وبعض المستعمرات قد قرروا فيما بينهم تنفيذ هذه القرارات داخل بلادهم احتجاجاً واعتراضاً على هذه الإجراءات الخائفة. وبدأ للجميع أن الأمور نير من سىء إلى أسوأ، وأن الشعب إذا هو قد أراد الحياة على يستطيع أحد أن يحه، وأن عصاة الشعوب لا تقى ولا تدرك.

وبالفعل وفي عام ١٧٧٢ وبينما كانت الثلوج تساقط، والرياح تشتد والعواصف تتور وتمور، والسماء ترعد وتبرق، والأرض تغرق في جليدها، فى هذا اليوم العاصف المطير بالتحديد أقبل رسول من مطعم (زالى) لاهتا تكاد نبضات قلبه تسمع من حوله وقد حمل أخباراً مثيرة حظيرة من بوسطن حيث أكد أن ثلاث سفن مكسمة بالشاى قد وصلت إلى ميناء المدينة وأن بعض العمال ارتدوا أزياء اليهود الأحمر وصعدوا إلى السفن الثلاث بمعجة إنزال للشحنة إلى الشاطئ. فإذا بهم يلقون بالشحنة فى مياه البحر.

ولما نجا ذلك للمسؤولين أصدروا أوامرههم على الفور بضرورة إحكام الحصار على الميناء والتشديد على حركة الدخول والخروج منه للوقوف على حقيقة ما جرى داخل الميناء، ومن ثم توقف الميناء عن العمل وهو القرار الذى أصدرته السلطات الإنجليزية لتأديب ومعاقبة الأهالي الذين ارتكبوا مثل هذا العمل الخطير .

الغريب أن الملك جورج الثالث قد أصدر أمراً ملكياً بضرورة تأديب الأهالي ومطاردة العمال الذين أقدموا على مثل هذا السلوك الهمجي - كما يرا - وقد أوفد حاميه الإنجليزية مارست بعض من صور التعسف والإصطهاد لتفعيل قرارات الملك على أرض الواقع.

وجاء دور جورج واشنطن الذي كان ابن هذه اللحظة التي ولد من أجلها قائلاً في رسالة وشجاعة هؤلاء الثوار والقادة العظام:

«أنا على أتم الاستعداد لتقديم جيش مكون من ألف رجل على نفقتي الخاصة وأقوده للدفاع عن بوسطن وفك الحصار الخائف على شعبها للشجاع».

ثم قام محامي جوسر الشهير هو الآخر بالشجاعة والإقدام معلناً أن يكون اليوم الذي أغلق فيه ميناء بوسطن يوم صلاة وصيام في جميع كنائس مدينة ويليامز برج مضت الأمور على هذا النحو المتصاعد ضد الوجود الإنجليزي، وخاصة وأن شعوب المستعمرات قد نفذ صبرها بعد أن صاق صرخها، ومن ثم لم تعد تبالي بالقوة الإنجليزية.

وقد تجلّى دور قادة وزعماء هذه المستعمرات التي كانت تروح تحت نير الحكام الإنجليز أن فرروا عبر المراسلات البريدية ضرورة الالتقاء معاً لبحث الأمور علانية وعلى مرأى وسمع من الجميع بدلاً من المراسلات التي قد تتعرض للمصادرات أو بعض الإجراءات السوفية لتعطيل أو تأجيل وصولها، مصلأ عما قد تخفيه وتتضمنه من معلومات لا ينبغي الإفصاح عنها لو كشفها، ووافق الجميع من قادة المستعمرات على اللقاء.

وجاء شهر يونيو ١٧٧٤ موعد أول لقاء لزعماء وقادة المستعمرات في مدينة فيلادلفيا ليكون فاتحة خير ومقدمة تمهيدية للتحرر والاستقلال.

كان أهالي مدينة ويليامز برج قد وقع اختيارهم على سبعة من رموز العمل الوطني لتمثيل فرجينيا في مؤتمر فيلادلفيا للرقب.

جاء على رأسهم باتريك هنري ذلك الخطيب الموهب الذي كان يملك القدرة على رلزلة الأرض من تحت أقدام مستعبيه.. وجورج واشنطن الذي بدأ اسمه يلمع للمرة الأولى خارج فرجينيا من خلال هذا المؤتمر التاريخي.

وقد تحدث باتريك هري قائلاً قوله المشهورة حول شخصية جورج واشنطن.  
 «أنا على يقين من أنه لا نظير لهذا الرجل في ميلادانيا بأسرها، حيث العقل الراجح  
 والأفق الواسع والرأي السديد والمكر الرشيد ومع المعلومات» وقبل أن يتوجه الوفد  
 إلى ميلادانيا قضى باتريك هري ومعه أحد المنويين تلك الليلة في بيت جورج  
 واشنطن في ماونت فرمون. وهي مساء اليوم التالي وبعد أن تناولوا طعام العشاء  
 أبلغهم الخادم أن الخيول قد تم تجهيزها وأعدادها، وهي في انتظار لحظة وصولهم  
 إليها..

وحين دقت ساعة الرحيل أسرعت مارتا روجة جورج واشنطن تقول للزعماء  
 الذين وقعوا لمعادرة المنزل والذهاب إلى ميلادانيا: «أرجو منكم أن تتخذوا داخل  
 هذا الاجتماع موقفاً أشد حرماً لأننى على يقين لا يحالجسى الشك فيه من موقف  
 جورج واشنطن ومن ثم أدموكم لشد أزره ونعضيد موقفه». أتمى لكم التوفيق  
 والسلامة والعودة الغائمة.

ثم انجذب إلى جورج واشنطن صاحب الحسد الصخيم والقائمة الفارعة لتمسك  
 بيده وترغى في أحضانة ثنوديه، كان جاكى كوستيس ويجواره روجته الرقيقة بقمع  
 معا بجانب والدته مارتا حين وثب الرعماء الثلاثة على ظهور جيادهم ومن خلفهم  
 ععدد هائل من الخدم حتى ضاربوا عن أنظار مارتا وانها، وبعد أن كانت تلوح  
 بمديلتها طوال رؤيتها لهم راحت تجهف دموعها بهذا المنديل وهي تدعو الله أن يرد  
 لها زوجها سالماً غائماً، كان جورج يعلم أن مارتا سوف تشكو الوحدة بعد أن توفيت  
 ابنتها ماتسى هي صيف هذا العام، ومن ثم قرر أن يتزوج شقيقها معهم في هذا  
 المنزل وهو له بمثابة الأب حتى لا يتهربس الوحدة مارتا، وهي الرغبة التي صادت  
 هوى لدى جاكى الابن، ومن ثم اضطر قبول هذا الاقتراح هو وعروسه بعد أن  
 أدرك معيبة بقاء الأم بمفردها في مثل هذا البيت الشاسع الصخيم؛ خاصة وأن

جورج واشنطن بعد أن اتخبط في العمل السياسي لم يسعد بمقدوره البقاء داخل البيت كما كان من قبل، وذلك لانشغاله في خدمة الأهالي والجلوس معهم وبحث شئونهم، خاصة في المرحلة الأخيرة التي شهدت تطورات حاسمة وخطيرة ما كان ليحمله أن يتركها تتعامل دون أن يكون مشاركا وصانعا وراسما ومخططا لأحداثها



في بواكير شهر سبتمبر عام ١٧٧٤ بدأ مندوبو المستعمرات في الكونغرس العام الأول يتوافدون على مدينة فيلادلفيا من مختلف الطرق المتعددة والمتشعبة والمحترقة والدائرية حيث استقل بعضهم عربات السمر العامة والسفن الأخر جاء على ظهور خيولهم وقد بلغ عددهم جميعا نحو واحد وخمسين عضوا ارتدوا جميعا قبعات مثلثة الأركان حيث وفدوا من جميع المستعمرات باستثناء مستعمرة جورجيا التي غابت عنها أخبار هذا المؤتمر التاريخي إلا بعد فوات الأوان..

كان الكل يترقب ويتلهف رؤية الزعماء الذين أقبلوا من كافة المستعمرات داخل أمريكا، وراح البعض يتطلع إلى ما سوف تقع عليه عيه من ملابس وأزياء وقبعات وأشياء لم يرها من قبل. من جانبه فقد كان جورج واشنطن يتلهف على مشاهدة مندوبي بوسطن، صمويل آدمز وابن عمه جون آدمز حيث تلقى أبناء تشير إلى ثمرتهما على التاج الإنجليزي وبدما معاً العمل على التحرر من المستعمر الإنجليزي بكافة السبل. ولكن لم يكن جورج واشنطن واثقا من صحة تلك الأنباء وربما لذلك أراد أن يقف على حقيقتها بنفسه بدلا من الاستماع من الذين قد لا يحسنون نقل الأخبار ولا يأتون عليها.

وفي ليلة الثامن والعشرين من سبتمبر توجه جورج واشنطن إلى المقر الذي ينزل فيه جون آدمز وابن عمه ليتجاذب معهما أطراف الحديث، وكانت هذه هي المرة

الأولى التي يتحدث فيها الرجلان معا رغم مرور ثلاث أسابيع على بدء المؤتمر وكان كليهما يرى الآخر في جلسات الكونغرس وربما أدرك واشنطن أن هذا الرجل ذو القامة القصيرة والبدن المتليّ والشعر الأحمر، هذا المحامي من ماسوشوسيتس الذي يتجول بين الحضور هو معه جون أدمر ومن الثابت أنه أيضا قد وقع بصره على هذا الرجل الصخم جورج واشنطن ذلك المزارع الذي ألقت الشمس بلهيبها على بشرته، والذي يتميز بدرجة الكلام، ولم يتبّه إليه إلا حين مشاهدته على باب غرفته في تلك الليلة وفي هذه العرفة التي سكنها بالطابق الثاني تبادل الرجلان الكثير من الشئور العامة وقد لفت نظر جورج واشنطن أن كلا الرجلين جون أدمر وابن عمه صمويل لم ينطق أي منهما بكلمة الحرية أو الاستقلال أثناء الحديث، وأدرك بعينه أن الرجلان لا يرغبان بحال من الأحوال في الحرية أو غيرها من الكلمات والمفردات التحررية التي تدعو للاستقلال ولكنه كان واحدا في ظنونه التي ملكته . . وتملكت منه .

والواقع الذي لم يكن قد نما لعلم جورج واشنطن أن كلا الرجلين قد تلقيا تحذيرات وإنذارات شديدة اللهجة أثناء سفرهما إلى المؤتمر بواسطة إحدى العربات العامة، وقد تم التنبيه عليهما بضرورة توخي الحيلة والحذر والبعد عن السياسات التي تناصب الحاكم الأنجليري وأعدائه العداء، خاصة وأن فيلانديا تلك المدينة التي تمتلئ بأنصار الملك والموالين له، وربما تردد كلمة مثل الاستقلال كثيرا ستكون بمثابة صاعقة مسترل من فوقها على رؤوس هؤلاء الموالين للملك، ولهذا اختتمت كلمات نارية مثل الاستقلال والحرية والانفصال وغيرها من المفردات التي من شأنها أن تشعل كرات اللهب في نفوس الملك وأنصاره

لقد اقتصر الأمر على تقديم عريضة إلى الملك جاء فيها أن رعاياه الذين يذبون له بالولاء والانتماء ويحفظون لتاجه يرجون من ملكهم الحليل الرحيم أن يوفر لهم سبل العدالة .

وبعد تقديم هذه العريضة تفرقت بالندوين السيل وعادوا جميعا إلى بلادهم على العودة مرة أخرى في شهر مايو حين يصلهم رد الملك على ما جاء في عريضتهم.

وانقضى فصل الشتاء بأكمله دون أن يرو لهم أي جواب، ثم أقبل الربيع وتحلت براعته في مارس كما هو معتاد وتفتحت الأزهار وتزهرت براعم الكريز دون أن يأتي الرد الذي يتلهف عليه جورج واشنطن وغيره من أهالي فرجينيا.

وفي أحد الاجتماعات المعقدة في مدينة فرجينيا وقف باتريك هري قائلاً لجمهور الحاضرين الذين ازدحمت بهم القاعة، وعلى رأسهم جورج واشنطن: «إننا ينبغي أن نواصل في سبيل استرداد حقوقنا، وإن كنت لا أعرف كمية التخطيط لذلك أو أن هناك خبرتنا قد خطط من أجل هذا الهدف المنشود، ولكن أدهو هنا بأعلى صوتي أن امحوي حريتي أو أتركوني للموت».

وجاءت تلك الكلمات بمثابة شموع أضلعت طريق الشعب الفرجي نحو الحرية والامتفلال، خاصة وأنهم قد أدركوا أنه لا مفر من القتال وبدأت التدريبات العسكرية تدور في المنازل والمزارع، وبدأ التسليح يتوافد على فرجينيا استعداداً لخطوة الانقضاض على المستعمر العاشم الذي جثم على نفاس البلاد والعباد.

وأمام هذا التحرك الشعبي الخطير كان جورج في طليعة هذه التحركات لا يهدأ من إشعال حماس كل من يلتقي به، ولا يملاً اليوم جفونه إلا بعد أن ينهي حطه التسليحية والعسكرية لساعة الصفر والحسم التي يتطلع إليها مهما كان الثمن ولأن جورج واشنطن كان ساكناً في قلوب أهالي فرجينيا وأحد أربابها وشجعانها ورجالها ولتاريخه في الحروب مع فرنسا التي أنشأنا إليها فقد توافقت على بيته الحشود الغفيرة التي تطاله بأن يتولى هو قيادة الجيش نظراً لحرته وحكمته وذكائه ومهنته وقدرته على قيادة فرجينيا نحو مستقبل أكثر إشراقاً وانطلاقاً من قيودها وأغلالها

ووافق جورج واشنطن على تلك الرغبة الشعبية وهو على يقين من قدرته على إدارة الأمور بما قد يؤدي إلى الوصول للأهداف المرجوة، ولبس الثمار النشودة من أجل تحرير شعب مرجينيا بل وباقي شعوب المستعمرات الإنجليزية المقاعة على الأراضي الأمريكية

وحين توجه جورج واشنطن إلى مدينة فيلادلفيا للمرة الثانية وذلك للمشاركة في أعمال مجلس الكونغرس لم يكن موقفا إلى مقر المجلس بوصفه مزارع من مزارعي مرجينيا الذين أوفدتهم جماهيرها للتعبير عن آمالها وطموحاتها، بل أنه قد ذهب إلى هناك على اعتبار أنه أحد أبرز وألمع قادة الجيش في مرجينيا وذلك بإظهار ملابسه العسكرية ذات اللون الأزرق والأصفر معا

كان جورج يقامته المارعة محط إعجاب وأنظار كل من تقع عليه عينه مصلا عن هدوء أعصابه، وقلة حديثه وحكمة آرائه وسمة أصفه وبشامته التي لا يبطل بها إذا ما دعا الأمر إليها، ودفء مشاعره لمن يقترب منه، ومن ثم كان جورج عالوما لدى الجميع ومضربا للآمال والأحلام.

وما أن اقترب جورج واشنطن من الثالثة والأربعين من العمر حتى بدأت مرحلة جديدة ومؤثرة وخطيرة في حياته حيث بدأت تتجلى أوج عظمته وشموخه وزعامته وقيادته وحكمته وقدرته على تحريك الأمور كما ينبغي، وحيثما يريد وسط تأييد شعبي جارف وحب طامع دعمه للعمل بكفاءة وإخلاص على تلخيص قواعد الحرية وإرساء أعمدة الاستقلال لهذا الوطن ولتلك الشعوب التي أصبحت تستحقه، ومن الظلم أن تظل هائمة على وجوها تحت سيطر المستعمر الذي لا هم له سوى بهب حيرات البلاد وسلب كنوزها وفرض صرائبه وولاد أحلام الأمة، واغتياط طموحاتها وكان القدر قد كتب عليها أن تعيش ذليلة كسيرة تحت أقدام الملك وأهواته.

كان جورج يعلم بما لم يعلم به الآخرون ويستطلع إلى ما لا نراه أعينهم كأنه  
مبعوث الحرية والاستقلال وقد كان جورج كذلك بالفعل

• • • •

## الفصل السادس الجنرال.. جورج واشنطن

حين دخل جورج واشنطن مبنى الحكومة في فيلادلفيا كانت ثيابه العسكرية المزركشة محط اهتمام جميع الذين شاهدوه وقد صاح جون آدمز قائلاً:

«ها هو الرجل الوحيد المتأهب للعمل والتصال»، كان جون آدمز من جثته يسمى بكند وإحلاص إلى توحيد الصفوف من خلال كلمة موحدة يجمع عليها المندوبين في أثناء انعقاد جلسات المؤتمر الثاني، وذلك لإبداء مدى جديتهم واستعدادهم لخوض غمار معارك وحروب جهادية لكافة هذا الشعب، على غرار مندوبي ماساشوسيتس الذين جاءوا وقد عقدوا العزم على البدء في التصال المسلح وإن ذهبت أرواحهم جميعاً في سبيل الحرية وانتفاء الاستغلال المشرد.

لقد فات على البعض أن عمليات الحرب قد بدأت دورانها بالفعل منذ نحو أسبوعين، وبالتحديد في إحدى ليالي شهر أبريل، حيث هب بول ريفير على ظهر جواده وقد أسرع به بسرعة حارقة لكي يلقي بإنذار شديد اللهجة على مسامع سكان بلدة كونكورد، كان يشير في مجمله إلى أن «دوى الملابس الحمراء»<sup>(١)</sup> على وشك دخول المدينة.

وفي صباح التاسع عشر من أبريل انطلقت الرصاصات من هنا وهناك وبالمكس بين الجنود الإنجليز ورجال ماساشوسيتس الصغار، وهو اللف الشائع لدى أهالي هذه البلدة

من هنا ومن أزقة وشوارع وبيوت ومداحل ومساكن وبوارج تلك البلدة اندلعت شرارة الحرب لتبدأ المعركة الأولى من معارك الثورة الأمريكية

(١) الجنود الإنجليز



وبعد مدوالات وجلسات عدة تم اختيار جورج واشنطن قائدا عاما بالاجماع، ثم أعقب ذلك أن قرر الكونغرس من خلال رئيسه السيد جون هانكوك تنصيب السيد جورج واشنطن قائدا عاما للجيش.

وفور سماع جورج واشنطن هذا الفرار هب من مقعده داخل قاعة الكونغرس قائلاً - وقد كست على وجهه ملامح الحزن والصيق - : «سيدى الرئيس... إني بالطبع أعلم مدى الشرف العظيم الذى أوليتمونى إياه. وأنا أعلن أمامكم جميعا محلصا صادقا كل ما فى نفسى من حلق وإخلاص أنى لا أرى نفسى بالكفاءة التى تتطلبون إليها فى شحصى المتواضع للإمساك بدفة قيادة الجيش.

أما بخصوص الراتب فأنا فى غنى عنه، لأنى لا أحتاج إليه، وإنما سوف أسجل بدقة متناهية جميع المصروفات والعقبات التى سأحتاج إليها... وهذا هو كل ما أردت أن أذكره أمامكم.

بعد انقضاء اسبوع من تلك الجلسة التاريخية التى رسمت أقدام جورج واشنطن ودفعته للأمام نحو ما هو أكبر وأرقى، غادر القائد الحديد جورج واشنطن مدينة بوسطن، وفى الثالث من شهر يولية عام ١٧٧٥ وصل إلى مدينة كمبريدج بواسطة سفينة بحرية، وحين وقع بصره للوهلة الأولى على الجيش العريب غير المزهل أدرك أن أمامه مهام صعبة وشاقة تحتاج إلى وقت وجهد لإعادة ترتيب وتكوين وإعداد جيش جديد يتمكن من الدفاع عن حدود بلدته ومقاومة الغزاة مهما كانت قوتهم وأدواتهم.

كان الجيش مكون من رجال العابات، وصبيان الفلاحين، وقد كان جيشا يدعو للدهشة والعجب، الأمر الذى دفع بالقائد العام جورج واشنطن للاعتكاف فى مقره لوضع خطة عاجلة فاعلة والده فى تمهينها على جناح السرعة



## حرب الاستقلال

بعد أن مر عام كامل على تولي جورج واشنطن قيادة الجيش كانت الولايات المتحدة على موعد مع ولادة جديدة من رحم الكفاح الوطني وذلك في الرابع من شهر يوليو ١٧٧٦.

لقد أعلنت جميع المستعمرات تحررها من أغلال وقيود الإنجليز واستقلالها عن هذا التاج الامبراطوري الطالم وكتب جيمرسون وثيقة إعلان الاستقلال ثم وقعوا جميعا على هذا الإعلان، بيد أن جورج واشنطن لم يوقع على الإعلان كما وقع عليه الآخرون، حيث كان مهتما في أعماله العسكرية بعيداً عن فيلادلفيا وبالذات يوم أن تليت على الملأ بود نص وثيقة الاستقلال..

لقد كان جورج مع جيشه في نيويورك، وحين وصلته نسخة من الإعلان استدعى أحد رجاله وأمره في التنبؤ بثلاوة الإعلان على الحدود حتى أشعل به حماسهم، وراح بعضهم يرقص طرباً وعطفاً من الأمل المشود والحلم الذي كان بعيداً، ومن أنهم لن يكونوا بعد هذه اللحظة من رعايا الملك جورج الثالث، بل أسرع بعضهم نحو تمثاله الكائن في حديقة الميدان لتنهشيمه وتعطيمه انتقاماً وثأراً من العقود التي مضت تحت وطأة الملك وأمرته. وبلغ بهم الحماس أن كسروا تمثال الحدود الذي كان مصنوعاً من الرصاص لصهره حتى يتسنى لهم تحويله إلى ذخيرة حية لبلادهم المارعة.

لكن من جانبه أبدى القائد جورج واشنطن رفضه القاطع لكل هذا السلوك العنصري والذي لا يتفق مع حياة الحرية التي تتم بالوسط والربط في كافة نواحي الحياة، سواء كانت سعيدة أو مؤلمة، حيث لا يرى القائد جورج أن هناك ما يبرر الخروج على النظام العام أو الأسس التي وضعها عند بناء الجيش وتحديد

أولوياته وأهدافه، وعلى رأسها الاحترام والالتزام والمحبة، صحيح أنه أكثرهم فرحا بهذا الإعلان لكنه يملك بوصفه القائد القادرة والإرادة الحديدية على ضغط مشاعره وعواطفه على عكس هؤلاء الجرود الذين كانوا يتوقون إلى مثل هذا الإعلان للتعبير عما حاق في نفوسهم من ظلم واشتمزاز من الملك ورجاله، وعلى الفور بدأت حرب الاستقلال في نفس العام الذي شهد خروج الوثيقة إلى النور عام ١٧٧٦ وقد استمرت زهاء ست سنوات، وقد كانت مدينة ماساشوسيتس هي البداية التي دفعت البلاد لخص عمار معارك طويلة الأمد تشد الحرية وتحلم بالاستقرار، حتى كانت مدينة «يورك تاون» إحدى مدن ولاية فرجينيا هي التي شهدت بداية وقف إطلاق النار

وعلى إثر هذه الحرب الطويلة تدفقت دماء غزيرة، وتناثرت أشلاء الحث بين الفريقين، وإن كان أغلب صحايلها من الجانب الأمريكي الذي كان أقل عدة وعتاداً إذا ما قورن بما يملكه الجيش الانجليزى الذي لم يتورع في ارتكاب العديد من المذابح والمجازر والمآسى في صفوف الشعب الأمريكى الخالم بالحرية ووحدة أرمية الشاسعة.

وبعد وقف إطلاق النار الذي شهدته فرجينيا وتوقيع وثيقته حتى يلتزم بها الحانين اندلعت اليران بين الحانين مرة أخرى لتستمر عامين آخرين كانت مشحونة بالمتاعب والمصاعب والمكائد، وقد علا فيها الحب واحتلظت بها دموع الثكلى باليتامى والأرامل، حتى كانت حرباً مدمرة أكلت أحصرها وبأسها وشيوخها وشبابها وباءها وأطفالها ورغم ذلك فقد كان من بين هؤلاء الصحايا من كان يصرح ويصيح: هيا إلى الاستقلال. هيا إلى الحرية. تراجع لا استسلام. لا تحذلوا الوطن لا تتكثروا المهود لئلا الأبطال الشجعان يطردوا هؤلاء العراة الظالمين

في سبائكم وأولادكم وثرواتكم، حرروا أنفسكم من أغلال الملك وتاجه المرصع بذهبنا وكنوزنا وخيراتنا.

كان جورج واشنطن في تلك الأثناء لا يتسرب اليأس إليه، ولا يتردد في خوض عصار أية معركة رغم ضعف إمكانياته وأسلحته، حيث كثيرا من شكّا من يقاد الدخيرة وقلة المدافع التي كان يحتاج إلى الكثير منها، ولم يكن يمل الشكوى من تدنى الرواتب التي كان يتقاضاها المحرّد، الأمر الذي كان يشير حقيقة جورج واشنطن خاصة وأنه يعلم أن حرّاة الكونغرس كانت حصيلتها صفر.

ورغم ذلك فقد كان الكونغرس لا يمل من طلب المستحيل من واشنطن غير عابىء بإمكانياته المتهترئة وموارده الشحيحة ومعنويات جنده التي كاد اليأس يعصف بها أمام احتياجاته الملحة والاستراتيجية.

وربما كان ذلك هو أحد أهم الدوافع التي أدت بالبحص للرئاسة لدى الكونغرس بجورج واشنطن ومحاوله تشويه صورته وتلطّيح سمعته والخط من شأنه وكسر إرادته، ومن ثم تفرّع عدد كبير من صباط الجيش للتآمر عليه ومحاوله إزاحته من قيادة الجيش، وعسى جورج كثيرا من خيانة أقرب معاونيه.

ورغم المكائد التي واجهها القائد جورج واشنطن فقد كان كعادته صبوراً وصابراً ومثابراً ومتريثاً أمام كل هذه التحديات الحسام طوال سنوات الحرب التي طال أمدها بأكثر مما يتوقع الخبراء، ومع ذلك ظل جورج وجوده الأوصياء على صمودهم وبضائهم وكفاحهم واستمصالهم لا يزالون بما يجري من حولهم من مؤامرات ودسائس، ولا يملون بدعوات اليأس والانهرامية التي روح لها دعاة الاستعمار وأدبائه أملاً في عودة الحكم الملكي الإنجليزي الذي كانوا يحصلون بعضاً من ثماره على أعمار أنهم من العملاء والخونة الذين لا يتورعون عن بيع الأوطان في سوق المحاسة مقابل مستأ واحداً.

في سبائكم وأولادكم وثرواتكم، حرروا أنفسكم من أغلال الملك وتاجه المرصع بذهبنا وكنوزنا وخيراتنا.

كان جورج واشنطن في تلك الأثناء لا يتسرب اليأس إليه، ولا يتردد في نخوض عمار أية معركة رغم ضعف إمكانياته وأسلحته، حيث كثيرا من شكّا من يقاد الدخيرة وقلة المدافع التي كان يحتاج إلى الكثير منها، ولم يكن يمل الشكوى من تدنى الرواتب التي كان يتقاضاها المحرّد، الأمر الذي كان يشير حقيقة جورج واشنطن خاصة وأنه يعلم أن حرّاة الكونغرس كانت حصيلتها صفر.

ورغم ذلك فقد كان الكونغرس لا يمل من طلب المستحيل من واشنطن غير عابىء بإمكانياته المهترئة وموارده الشحيحة ومعنويات جنده التي كاد اليأس يعصف بها أمام احتياجاته الملحة والاستراتيجية.

وربما كان ذلك هو أحد أهم الدوافع التي أدت بالعص للرشاية لدى الكونغرس بجورج واشنطن ومحاوله تشويه صورته وتلطيح سمعته والخط من شأنه وكسر إرادته، ومن ثم تفرع عدد كبير من صباط الجيش للتآمر عليه ومحاوله إزاحته من قيادة الجيش، وعسى جورج كثيرا من خيانة أقرب معاونيه.

ورغم المكائد التي واجهها القائد جورج واشنطن فقد كان كعادته صبرا وصابرا ومثابرا ومتريثا أمام كل هذه التحديات الحسام طوال سنوات الحرب التي طال أمدها بأكثر مما يتوقع الخبراء، ومع ذلك ظل جورج وجوده الأوصياء على صمودهم وبضائهم وكفاحهم واستمصالهم لا يزالون بما يجري من حولهم من مؤامرات ودسائس، ولا يملون بدعوات اليأس والانهرامية التي روح لها دعاة الاستعمار وأدبائه أملاً في عودة الحكم الملكي الإنجليزي الذي كانوا يحصلون بعضا من ثماره على أعمار أنهم من العملاء والخونة الذين لا يتورعون عن بيع الأوطان في سوق الحماقة مقابل مستأ واحداً.

لقد وصفت الحرب أوزارها وها هو العام الأول قد أسرع وانتهى، وهاهم جنود الإنجليز قد تجمعوا أحيرا على رصيف ميناء بوسطن بعد أن قرر قادتهم الانسحاب أو الهروب من بيران المقاومة الأمريكية التي يقودها جورج واشنطن الذي كان يراقبهم بمطارة وهم في طريقهم إلى البحر البحرية التي أطلقت صغاراتها مؤذنة بالرحيل والعودة إلى بلادها الأصلية

ووفقا للأوامر التي بلغت واشنطن من الكونغرس قام بنقل جيشه إلى مواقعه في نيويورك لحماية المدينة وعدم وقوعها في أيدي الإنجليز ولكن أدرك واشنطن أن هذه الأمية هي درب من دروب الوهم والمستحيل حيث أنه يفقد البحر التي تمرقل دحول مراكب الإنجليز من دخول الميناء

ولذلك اقتحمها الجنرال هار بمراكبه وقواته التي كانت تفوق أعداد قوات الجنرال جورج واشنطن ومن ثم تمكّن في إبعادهم عن المدينة، بل وراح يتصفق فلولهم حتى نهر هدسون الأمر الذي دعاهم لعبور النهر هربا إلى نيو جيرسي، وفي نيويورك علم أن اللورد كرواليس قد هاد من إنجلترا ومعه فرقة كبيرة من الجنود الألمان المرتقة كان قد قام باستجارتهم ليقاتلوا معه في صفوف قواته ومن ثم قام الجنرال هار بإرسالهم كتعبق الأمريكيين وظلت المطاردة أسبوعا بعد الآخر في شوارع نيوجيرسي فيما كانت قوات واشنطن تتراجع وتتقهقر أمام الصربات الموجهة التي كانت تتلقاها

ولأن جورج واشنطن كان يلود بالفرار من مكان لآخر على عجل دون ترتيب هربا من طلقات النار الكثيفة التي كانت تتساقط على قواته كالأمطار، كان يشكو من نفاد المؤن والماء، الأمر الذي أرغم بعض جنوده على الهرب من الميدان وانقلاب البعض الآخر على قيادته، مظرا لسوء الأداء وبعد السلاح والعتاد والمؤن والدخيرة والمنافع وملابس الشتاء..

وحيث قرر واشنطن العودة بقواته عبر نهر الديلاوير بالقرب من بنسلفانيا تلك  
الربع أعضاء الكونجرس، وتوقع أعضاؤه أن يدخل كرنواليس على رأس قواته إلى  
مدخل نيويورك بين ساعة وأخرى.

كانت تلك الأحداث تدور رحاها في شهر سبتمبر، وكان يتعدى على الإنجليز  
عبور نهر الديلاوير؛ حيث كان أعلاه قد تجمد يعمل الأمطار الثلجية مما اضطر  
كرنواليس إلى الوقوف وعدم العبور، واستقر به المطاف عند مدينة نرتون من جهة  
جرسي، ثم حل عيد الميلاد وراح الجنود الألمان يحتفلون بطقوسه على طريقتهم  
الخاصة، وتعاطوا كؤوس الخمر التي لعبت برؤوسهم مع رقصهم العيف على  
الأنشيد الوطنية التي استمرت حتى صباح اليوم التالي

في تلك الليلة عاد واشنطن عبر نهر الديلاوير رغم أن مياهه قد تجمدت ومن  
ثم قرر عبوره من ناحية بوجيرسي بواسطة مراكب صميرة وسط ضباب كثيف  
وثلوج أصمت الأبصار عن الرؤية القريبة، ثم سرعان ما اقتربوا من الحدود الألمان  
المرتزة الذين كانوا قد استسلموا لمبات عميق بعد أن أرهقهم المسهر والرقص  
والخمر فأصبحوا صيدا ثميا لقوات جورج واشنطن، الذي قام بإصدار أوامره  
الصارمة بالفناء القيص عليهم كأسرى حرب وبالفعل سقط الجنود الألمان أسرى  
لقوات جورج واشنطن.

أما كرنواليس فقد وصل حيث ترابط قوات واشنطن، وظن كرنواليس أن الثعلب  
المعجوز قد بات فريسة سهلة في شباكه، وأن هذه الليلة سوف تشهد القضاء عليه  
حيا أو ميتا

وراح يرسم خطة شديدة الإتقان للقبض عليه عند بروج حيوط المعجر الوليد،  
ولكن ما أن قام كرنواليس بتنفيذ خطته الباردة حتى علم من مصادره أن الثعلب  
المعجوز قد أطلق سافه للريح هو وقواته في حيلة عجيبة أدهشت كرنواليس

كان كربواليس يتمدد في فراش حيمته طوال ساعات الليل المظلم الأمر الذي دفع جورج واشنطن لخداعه وتضليل حراسه وجواسيسه حيث أوقد بيران في منتصف المعسكر بحجة ندفة عظام الجند التي كاد يعثرسها البرد القارس فأوهم كربواليس بوجوده طوال الليل في الوقت الذي تلى من بين خطوط قوات كربواليس . .

وعند طلوع المعجر كان هو وجوده قد قطعوا مسافة كبيرة نحو جهة الشمال، وإذا بقوات الإنجليز تواجه قوات جورج واشنطن ليلقى على أيديهم هزيمة قاسية في منطقة برستون وكانت هي حاتمة معارك الشتاء وعاد كربواليس إلى نيويورك فيما اتجه واشنطن إلى بوجرسى ليفضى فيها فترة الشتاء

في تلك الأثناء جاءت زوجته مارتا من ماونت فرنون لتخف معه وتشد من أزره وانكبت على صناعة الخوارب للمجنود، ثم قادرت المعسكر عند بداية فصل الصيف حيث أن اندلاع المعارك مرة أخرى كان هو الأمر المتوقع لدى جميع الأطراف

صحيح أن واشنطن لم يكن على دراية تكيفية ومكان هذه المعارك مرة أخرى لكنه كان واثقاً أنها سوف تنشب مرة أخرى ثم هو لا يملك من العملاء والجواسيس ما يمكنه من الوقوف على نوايا العدو المستقبلية لاتحاد اللازم وإعداد التدابير وتوفير ما سوف تحتاجه المعارك القادمة، سواء كانت في مدينة من جهة الشمال أو الجنوب أو أية جهة سوف تقتحمها قوات الإنجليز

وعلى نحو مماجيء أقبلت بعض طلائع الكشافاة أو (جواسيس جورج) بحجوه أن الجرال هاو اتجه بقواته نحو فيلادلفيا حيث أنه قد شوهد يشق عاب خليج تشايك بواسطة السفن البريطانية، برل الياً على أعصاء الكوعجرس كالصاعقة، حيث بحث كل عضو عن مأوى يحميه وطوق نجاة ينجيه من مغبة جود (هار)

ولأن جورج واشطن قد أدرك خطورة ما أقدم عليه رجال الكونجرس من إرهاب الروح المعنوية لدى جنوده وما يمكن أن يترتب على ذلك من تدمير كامل لقواته تلك التي تستل في الدفاع عن حرية أمريكا واستقلالها، قرر الرجل القائد المعوار أن يشر جنوده في شوارع المدينة وسط طبول الحرب وأناشيد الاستقلال لإرهاب العدو وأنصاره، خصوصا وأنه قد طالهم بالوقوف أمام المسى الذي شهد إعلان وثيقة الاستقلال كرم للصمود والعاد والصلاة والإرادة والتحدى وعدم التراجع والتقهقر مهما أوتى العدو من قوة ومن رباط الخيل

وأطاع الجنود الأوامر في الترو وأصبحت المدينة وكأنها تعيش مهرجانا لصر لم يحرزه واشطن بعد حيث راح الجنود يهون بأصواتهم الصاحية أعاني مشهورة باسم «يانكى دودل» وسط دقات الطبول وبعثات المرامير الحماسية المدوية، وقد وضعوا على قبعاتهم أغصان شجر لكي تحمي معالم السوء التي كانت قد بدت عليها من شدة الحاجة وسوء الحظ، وبسما كان جنود واشطن الثوار يهتمون في شوارع المدينة بشبابهم الرثة ومظهرهم البائس كان المحافظون يتهاكمون عليهم ويستحقون بهم، حيث كان أغلب هؤلاء الأمريكيين ما زالوا على ولائهم لملك الإنجليز، وكانوا يتطلعون إلى اللحظة أو الساعة التي تصلهم أنباء وصول الإنجليز إلى مدينتهم.

وبعد مشوب معركة أو أكثر استطاعوا دحولها في مطلع شهر أكتوبر الذي شهد العديد من المهرجانات اليومية التي شاركت فيها أسر المحافظين مع جنود الإنجليز التي استمرت طوال فترة الشتاء حيث ساد للمرح جميع أنحاء المدينة

وعلى الرغم من المهرجانات التي أقامها الأهالي والجنود المعراة معا كان جورج واشطن وجنوده يتألمون من قسوة الشتاء، خاصة وأن مواقعهم كانت على التلال المكشوفة عند منطقة (مالى فورج) وقد استولى عليهم الجوع، وكادت جنودهم

تتجمد بعمل الشتاء القارس الذي داهم البلاد خاصة وأد أغلبهم كانوا من الحماية حتى كانت أقدامهم تن وتوجع وتترف دما غريرا وهم يتقلون من مكان إلى مكان يقطعون الأشجار ويصنعون من جنوعها أكواخا لتكون ملاذا أما لهم من عصف الشتاء.

كان واشطن يقضى أوقاته في خيمة قريبة من رجاله حتى كان يأكل من طعامهم، وشجع بأرجاعهم مع أنه كان أكثر قوة وصلابة وتحدي وعناد وإرادة من صباط قواته الذين داهمهم اليأس، وكاد يعصف بحياتهم فصلاً عن ضعف جوده واستسلامهم للسكاه بين الحب والأخر رغم العزيمة التي تسكنهم والرغبة في طرد العرة وتحرير الأوطان من هؤلاء الذين بهوا حيراتها وأدلو أهلها.

بعد أن أبحر الجنود أكواخهم الخشبية التي انتقلوا إليها، شيدوا لقائدهم جورج واشطن بيتاً صغيراً مبنياً بالاحجار على مقربة من الخليج

في تلك الاثناء جاءت زوجته مارثا كما هو معتاد لكي تعيش إلى جواره طوال فصل الشتاء، وكانت آنذاك تتردد على الجنود وتواسي مرصاهم وتداوي جرحاهم وهي لا تهذا في صنع جوارب الجنود المصانة للبرد القارس، وحيابة الملابس وترقيعها مع زوجات الضباط الآخرين.

وقضى واشطن هذا الشتاء مكونا بالحر والهم والضيق، حيث كان منقبض الصدر أسما على ما لاقاه جوده من أهوال ومتاعب ومصاعب جمّة، ثم إرداد ألمه حين تلقى خطابات عديدة من أعضاء الكونغرس لا تحلو من النقد والتأنيب واللوم في حين أن هؤلاء الأعضاء قد نعصروا أياديهم ولم يقدم أي منهم معونة أو مساعدة تعصده من موقف قواته بل إنه واجه أكثر من مؤامرة بسح حيوطها بعض قادة الجيش بهدف عرله واقصائه من منصبه، بيد أنه اكتشف حيوط تلك المؤامرة ومن ثم قرر قطع دابرها والقضاء على أصحابها.

على أية حال رغم الأذى الذى وقع على جورج ورجاله إلا أنه تحلى بالصبر وتمسك بالشجاعة، الأمر الذى ساعده بالطبع على المضى قدماً فى تنفيذه ما يصبو إليه

ومع حلول الربيع جاءت أخبار طيبة، أخبار رائعة وعظيمة، وهى أحد أيام شهر مايو كان المعسكر يشهد احتمالات صالحة بعرض الترفيه عن الجنود، وقد اندفع أحد الشباب فى عمرة من عمرات الطرب والابتهاج ليلقى بنفسه بين ذراعى جورج واشطر يعانقه ويقبله فى وجته وكان هذا الصاغ هو المركيز لافاييت وهو شاب فرنسى لم يتجاوز العشرين من عمره. فماداً كان مسبب ذلك الفرح الكبير الذى ساد أرجاء المعسكر؟

لقد انضمت فرنسا إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى مضالها ضد الإنجليز . وقام لويس السادس عشر ملك فرنسا بتوقيع معاهدة مع بجامين فرانكلين الذى ذهب إلى فرنسا لكى يستعين بها على الإنجليز، كان لافاييت قد غادر فرنسا منذ سنة واحدة وجاء إلى أمريكا ليشارك معها فى كفاحها فى سبيل التحرر من الإنجليز، وقد نسلل إلى الميناء متحياً بأن وضع على رأسه شعراً آخر مستعار كان أسود اللون حتى يحمى لون شعر رأسه الأصلى ذو اللون الأحمر الطبيعى، حيث كان الملك قد أصدر قراراً بمنعه من السفر إلى أمريكا لكن الآن فقط تغير رأى الملك وأصبحت فرنسا تحرص على التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية فى حربها ضد الإنجليز، وسوف تصل السفن الفرنسية إلى السواحل الأمريكية على الفور.

ما من شك أن هذه الأخبار قد دعت بالإنجليز لتغيير خططهم، ولذلك عاد الخزال هاو إلى إنجلترا بعد أن سلم القيادة لخزال آخر

وحين غما لعلم القباطد الإنجليزي تحرك أسطول فرنسى نحو نيويورك رأى أن وجوده فى نيويورك أقل خطرا على الحود الإنجليزي من أن يكون فى فيلادلفيا ولهذا عادر فيلادلفيا ومن حلفه أسطول ضخم من عربات البصاعة حتى وصل إلى نيويورك ووقف على بعد نحو اثنى عشر ميلا . فتبعه واشنطن وروابط قواته فى موقع قريب يتبع له إمكانية مرافقة الاوضاع فى المدينة وترقب ومتابعة وصول الأسطول الفرنسى على أمل أن يقتحم نيويورك ويسترد لها مدعم الفرنسين

ولكن . لسوء الطالع فقد وصلت السفى الفرنسية فى مطلع شهر يوليو وبالتالى هجرت عن دخول المياه حيث المياه يمتد العمق فى مثل هذا الوقت من السنة ومن ثم تعطل السفن الضخمة فى دخوله بسبب إرتطامها بالرمال ولهذا ظل الإنجليزي فى نيويورك فيما بقى جورج واشنطن وجوده على أهبة الاستعداد على مقربة منهم حتى نهاية الحرب .

فى تلك الأثناء تحولت المعارك إلى الولايات الجنوبية الأربع فى عام ١٧٨ حتى الإنجليز مدينة جورجيا ثم أعقبها سقوط كارولينا الجنوبية التى احتلها اللورد كرنواليس، وكان قد تحرك إلى كارولينا الشمالية ثم توجه بعدها مباشرة إلى مرجيا، وتلك أخبار من شأنها أن تعكر صفو واشنطن وتثير عصبه

لكن بالرغم من الصربات التى يثقلها جورج واشنطن يوما بعد الآخر والهزائم المتكررة لقواته والبؤس والموز والفقر الذى كاد يقتل ما سقى معه من جود، رغم ذلك كله فقد وصلتته أنباء سارة على رأسها وصول القوات الفرنسية لأمريكا وبرلت بنيوپورت فى رود آيلاند، وعلى العور رافق جورج واشنطن لاهاييت وترجلا معا من أجل التباحث وتبادل الآراء مع القائد الفرنسى الذى كان طاعا فى الس حتى كان جنوده ينادونه بلقب «بابا روشامبو» .

كان واشنطن من جانبه يتطلع إلى مهاجمة القائد الإنجليزي في نيويورك، ولكن راحة عقله وحكمته ودكاه بصيرته كانوا حجرة عثرة للإقدام على ذلك لما لهذه المحاطرة من حائل فادحة كانت قواته ستكبلها عند اللحظة الأولى. ومن ثم قرر جورج واشنطن انتظار وصول الأسطول العرسي، ومن ثم يتمكن في تلك اللحظة أن يدفع بقواته تحت الستار العرسي، ولكن كانت الأساطيل العرسية لا يزال بعضها في عرض البحر يصارع الأمواج ويسرع الخطى للوصول إلى مرفأ الأمان

وهي أوائل العام الجديد ١٧٨١ أبحر توماس جيفرسون القائد جورج واشنطن إلى الحدود الإنجليزية دخلوا ولاية مارجيبيا وقد أصرموا البران في مراع التسع وفي المحلات ويرتكبون أحمق الخرائم نكابة في جورج واشنطن ابن تلك الولاية وأمر رجالها على الإطلاق.

وهي التو كلف جورج واشنطن لافايت بالتوجه ناحية الجنوب في الحال وبعث معه كل من يستطيع الاستعانة في دوره من الجنود، ولكن سرعان ما وردت الأنباء إلى واشنطن تؤكد أن القائد كرواليس اتجه نفسه إلى مارجيبيا ورأى واشنطن أن عليه انتظار الأخبار الواردة من لافايت.

وبالفعل بعث لافايت بالأخبار في الخريف بطالته بضرورة الحضور سريعا حيث أن الأسطول العرسي وصل لتوه خليج تشسايك وأن القوات الأمريكية السبيطة المراقبة هناك قد أحكمت حصارها على كرواليس وحوده في (يورك تاون)

وحين سمع واشنطن هذه الأنباء السارة أسرع هو وروشامبو وتوجها على الفور نحو الجنوب. كان الجنود الأمريكيون لا يزالون في ثيابهم الرثة فيما كان الجنود العرسيون في ثيابهم الرقعة المزركشة الجلابة ودخلوا مدينتي فيلادلفيا وبلتيمور وعبروا نهر البوتوماك إلى مارجيبيا وذات ليلة في ساعة متأخرة في مارست فربون تسلسل جورج واشنطن إلى أسرته التي استيعبت من نومها لتجده أمامها وهي صباح

اليوم التالي أقبل بابا روماني الذي قُبل بحفاوة من قبل أسرة جورج وجميع جيران بيته، ولكن سرعان ما رحل الرجال لتابعة نظورات الموقف العسكري وقد اصطحب جورج واشنطن كوستيس ابن زوجته مارثا ليحمل ياورا له، وكان جاكى قد قام بتوديع بابه الصغار وطعمه الوليد وداعا كان هو الأخير؛ حيث لقي مصرعه في ميدان المعركة.

وهي ويليامس برج على بعد نحو أكثر من سبعة أميال من (يورك تاون) وجد واشنطن لاماييت ينتظره، وحين رأى هذا القائد المحبوب حتى انه رجعت أساريره وأشرق وجهه وبرقت عيائه ولاحت على شفتيه ابتسامة رقيقة ساحرة.

وهي صباح يوم التاسع من أكتوبر عام ١٧٨١ أطلق جورج واشنطن أول قذيفة مدفعية على مدينة (يورك تاون) لعك الحصار الإنجليزي على أسوارها ومداخلها وقد شهدت المدينة أعنف قصف مدفعي طوال عشرة أيام لم تتوقف فيها مدافع واشنطن من الصرب المتواصل حتى أن سحب الدخان قد سادت أجواء المدينة ولم يتوقف جورج عن القصف حتى أبدى القائد الإنجليزي كرنواليس رغبته في الاستسلام هو وجنوده لإنهاء هذا القصف العنيف الذي أبلى به جورج ورجاله بلاء حنا.

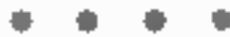
وهي الساعة الثانية مساءً في ٢ أكتوبر ١٧٨١ خرج الإنجليز من مدينة (يورك تاون) بشبابهم الحمراء وموسيقيهم الحساسة تعرف بشيد الهريمة «انعلت الدي رأسا على عقب»

وساروا بين صفوف متوازية من الجنود الأمريكيين والفرنسيين الذين وقفوا جميعا وقد خيم الصمت عليهم من شرط الاحترام لجورج واشنطن، ثم بعد تلك اللحظات ألقي الإنجليز بأسلحتهم على الأرض

في اليوم التالي لاستسلامهم توجه كرنواليس إلى الحiral واشتغل وقدم إليه  
مروص الاحترام، وبعد قليل كان كرنواليس على عادة عدا دعا إليها جورج  
واشغل الذي أمر بإعدادها على مستوى يليق ومكانة قادة الجيوش الثلاثة

أما جاكى كوستيس فقد داهمه المرض في ويليامز برج وقد انتقلت إليه روحته  
ووالدته من ماوت فرنون لماشرة حالته الصحية والحلوس بجواره ومحاولة البحث  
عن دواء لداوانه واليهوص به من وعكته التي ألت به مؤحرا

وقبل أن ترهق روحه وينتفب بض قلبه أبدى محاوله على مصيراته الطفلة  
الصغيرة بيللى التي لم تكن قد تجاوزت الثالثة من عمرها وكذلك ابنه الصغير الذي  
أطلق عليه جورج واشغل، وقد تعهد واشغل أمامه بأنه سوف يرعى أبناءه رعاية  
تامة، وأنه سوف ينشئ ابنته بيللى، ورجاء واشغل ألا يشعر بالقلق بحو أطفاله  
سواء كان على قيد الحياة أو فارقتها.



على الجانب الآخر وبعد أن استسلمت قوات كرنواليس طس الناس أن الحرب قد  
أرخت ستائرهما، وذلك بعد أن توقع وزراء جورج الثالث على معاهدة الصلح  
ومن ثم كان على الجيش الأمريكى أن يظل متسلكا قويا مترابطا مثل أى جيش  
حقق انتصارا، ولكن جورج واشغل الذي كان على علم أن جوده قد بعد منهم  
الصبر ولم يعد يفتقر أى أحد منهم أن يتحدى بالصبر والثبات، ولأنهم لم يتفاسوا  
أحورهم، وأن أعضاء الكونجرس لا يعانون مشكلاتهم رغم أهمية دورهم وعظمتهم  
في تحرير الوطن واستئلال أراضيهم فقد قرر الجود إما أن يتم تسريحهم من الجيش  
والعودة إلى الحياة المدنية للعمل والتحاس للرزق، وإما أن يقوم قائدتهم المعقري  
جورج واشغل بتولى زمام أمور الدولة والانقلاب على حكاهما الذين أداروا  
ظهورهم للجيش، ولم يكن أمامهم سوى لنتهام الكعكة بمفردهم وليذهب الجيش  
إلى المحيم

نعم لقد تحمرا الحدود وطالبوه بأن ينصب نفسه ملكا على البلاد، حيث أنه أجدى وأحق من أى أحد من هؤلاء للحفاظ على الموالين للإنجليز فهو الذى صحى بكل أوصاله وأملاكه وأسرنه وحياته من أجل عودة البلاد إلى أهلها وطرده العصابة الإنجليز، ولكن كان هذا الاقتراح الشجاع قد برل على جورج برول الصاعقة، حتى أنه ناشد جوده بعدم اللجوء إلى مثل هذا التصرف، فمن واجبه احترام الحكومة والكونغرس، ولا يبنى الخروج على أى منهم احتراماً لقوانين البلاد

بعد توقيع معاهدة الصلح عام ١٧٨٣، وبعد أن وصلت أساذه إلى أمريكا وتم إعلانه على الجميع، تم تسريح الحدود بعد أن عادوا البلاد بصفة نهائية

وفي مساء الرابع من شهر ديسمبر التقى جورج واشنطن بمقهى فرسيس بمدينة نيويورك مع جوده وصباط جيشه لمصافحتهم ونوديعهم، ولكن فى تلك الأثناء اغرورقت عياله بالدموع حيث كانت اللحظة مفعمة بالاحاسيس والمشاعر والعواطف والذكريات والصور المزلة والكيرة والكتيبة، وها هو العراق قد ألقى بطلاله الثغيلة عليهم، ولكن جورج حاول أن يبدو مناسكا كما هو معتاد وراح يتحدث بحشد العفير من جنوده قائلاً:

«نفت راحر بالشكر عامر بالحب دهوى أسنادنكم وأرحو أن نكون أياكم القادمة سعيدة باحة بقلر ما كانت الايام السابقة مؤلة، وإن كانت محيدة وشريرة وعظيمة».

ثم راح يطلب منهم جميعاً مصافحتهم يبدأ بيد دون أن يتس أى جدى بكلمة حيث كان الصمت قد ساد المكان والحدود رهرف عليه سأجحت من تلك اللحظات المؤثرة

وبعد أن هرع جورج واشنطن من مصافحة قواته جميعاً ظلت أنصارهم بلاحقه وتشبعه حتى استقل سعيته الراسية أمامهم.

وحين أقلمت، ألصقت إليهم والدموع تنهمر وهم يلوحون له بأيديهم ودموعهم  
التي كانت أكثر غزارة وسخونة.  
لقد نالوا الاستقلال.

وأبما توجه جورج واشنطن كانت الجماهير تستقبله بحفاوة بالغة بوصفه بطل  
الاستقلال، وكم من مآدب أقيمت تكريماً له وترحيباً بقدومه السعيد إليهم  
وهي أثناء وجوده في فيلادلفيا قدم لوزير المالية حساباً دقيقاً يتسم بالصدق  
والشفافية عما أنفقه أثناء الحرب، ثم حرح متوجهاً من فيلادلفيا إلى أنابوليس وهي  
في ولاية ميرلاند فقد كان الكونغرس معقداً، ومن ثم تقدم باستقالته من قيادة  
الجيش.

وهي ليلة عيد الميلاد شرع جورج واشنطن مسجلاً حربة وبجواره زوجته  
مارثا وكانت هذه السيارة تنهادر بهما نحو مرله.

وعاد جورج واشنطن إلى مزرعته الحبيبة وبنته العزير على نفسه بعد طول عذاب  
وكفاح وبضال وعناء وجهاد ومشقة وشقاء وبؤس وحصار وكر وفر واقتحام  
واستسلام، عاد جورج إلى موطنه إلى حياته في ماونت فرمون



## نبيللى

بعد عودة جورج واشنطن إلى بيته في ماونت فريون بدأ على الفور الاستعداد للإحتفال بعيد الميلاد والعام الجديد الذى سوف يأتى بالخير والرفاهية على جميع أبناء الشعب الأمريكى بعد أن تحرر وطنهم العزيز

وامتلا البيت بالنبات والخضرة والأشجار حيث أن جورج واشنطن لم يعلم أن الطفلة نبيللى التى كانت بمثابة حميدته والتى تعهد برعايتها قد استعدت لقدم جدها السعيد وتولت مع الخدم تزيين المنزل خاصة وأن الضيوف سوف يترددون عليه طوال ساعات النهار حال عودة الجدد البطل.

كانت نقف في شرفة المنزل قبل وصول جدها تنتظر لحظة مجيئه تسمى أن تقبه ونحتضه ونعيش في سترته كأي طفل، وأن تام على يديه وأن يروى لها الحوادث التى تجلب اليوم. وها هو الليل قد أسدل سدوله دون أن يأتى الحد والحدة رغم أنها ترتدى أحمر وأحلى الثياب وقد قامت بتصفيف شعرها وريشه بالورود وكان حدادها يلمع كأحذية الضباط المرسيين الذين كانوا قد ترددوا على بيتهم بصحبة جدها جورج واشنطن، ولكن حتى بعد أن جاء جورج واشنطن ظل الضيوف الذين يتوافدون على البيت طوال النهار يحولون بينها وبينه، ولم يعد بمقدورها رؤيته عن قرب أو الجلوس على ساقيه وتقبيله كما كانت تنتظر، فقد ظلت تنتظره طوال الليل حتى صلبها النوم وتمكن منها لتسقيظ على صحنكات ونعجات وسلامات الضيوف وبالمعل طلت على هذا الحال، فالباس لا تتوقف عن زيارة النطل العائد وهو بالطبع لا يعد مثل أى بطل، فهو في أعين أبناء الشعب بطل الأمة بطل التحرير، بطل الحرية بطل الاستقلال، وهو يستحق كل هذه الألقاب عن جدارة ويدون أية مجاملة.

وبعد عدة أيام بدأت أعداد الوفود تقل شيئا فشيئا حتى اندثرت تماما لتحتل  
 نيللى بجدها أو عن هو في مكانة جدها وأنه لجد عظيم

واصلحها في الصباح لاستشراق مزارعه وبالقرب من مقر بيته وقف يشرح  
 لنيللى الطفلة الصغيرة كيف سبنى لها ولاشقائها يسوتا جميلة هنا، والحدائق العناء  
 من حولها، ثم راح يشرح لها كيفية زراعة الأشجار وبعض المحاصيل الأخرى وقد  
 بلغ آنذاك أوج سعادته رغم إلحاح زوجته مارثا في إبعاد نيللى عن جدها، حتى لا  
 تضايقه ويستطيع أن يتفرغ لشئون مزرعته بعد عودته سالما



## فخامة الرئيس

حين سمع جورج واشنطن عبارة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية اضطرب قلبه وزادت نبضاته هرجاً وانتهاجاً، حيث كانت تلك اللحظة التاريخية في حياة جورج واشنطن كانت في الرابع عشر من أبريل عام ١٧٨٩، وهو واقف في غرفة الطعام بماونت فرنون.

وبعد أن عاد من ممارسة رياضة الصباح على ظهر جواده داخل المرعة كان جميع أفراد الأسرة قد أحاطوا به من كل جانب، حيث كان رسول الكونغرس الأمريكي الذي أقبل على بيته منذ قليل قد أخبر أسرته بالباء السار، فقد وقع اختيار الكونغرس عليه كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية بعد انتخابه بالإجماع

أوه يا لها من مهمة شاقة وعسيرة وحظيرة، لقد مرت الأسابيع نلوا الأسابيع وهو يخشى قدوم تلك اللحظة وسماع مثل هذا الخبر، وإن كان قد تطلع إلى ذلك أملاً في تحسين أوصاف الشعب وتطويره وتحديثه ومحاولة الارتقاء به بين الأمم، حتى يكون له شأن عظيم، ولا يظل لقمة سائغة في أفواه المرأة الطامعين الذين يتربصون بلحظة ضعف يتسللون خلالها إليه مرة أخرى ليلب ما أنعم الله عليه من كنوز ومن خيرات لا نظير لها في الكون

إن هذه المرة الأولى التي ستشهد البلاد رئيساً لها، وهي تجربة مرعبة حيث أنه إذا كان قد اعتاد على أن يتعلم من سبقوه في الخبرات والتجارب فمن هو الذي سوف يرشده إلى الطريق السليم إذا كان هذا الأمر هو الأول من نوعه في تاريخ البلاد؟ ومن ثم لن يكون هناك من سوف يرشده إلى حيث يريد.

إن المهمة جد خطيرة ولكنه جورج واشنطن الذى يتصف بسمات ومرايا عدة فلما تشهد لها أمريكا مثيلاً فى أى رجل من بعده . . فهو الشجاع المقدم الكريم الليل المحلص الذى وهب وطنه كل حياته من أجل رفعتة وسلامته، فمن عبثه يستطيع أن يتحمل عبء هذه المسئولية العظيمة ؟

لقد تحلى وجهاء البلاد وأعضاء الكونجرس وأعضاء الحكومة عن بهضة وتحرير ترابهم، ولم يكتب أى منهم بالوقوف السلبى - وقد تشابكت أصابعهم كأنهم اتحدوا على رفض ما أقدم عليه جورج واشنطن - لكنهم فى الواقع اتفقوا على موالة الإنجليز حين كانت الملعة العسكرية ترجح فى أغلب المعارك لصالحهم، ومن ثم راح هؤلاء يظهرون موالاتهم للإنجليز طمعاً وحقاً، ورفضهم لجورج واشنطن على أمل أن يسلم سلاحه ويعزل نفسه ويصدر قراراً بتسريح جنوده، ولتبقى الأمور على ما هى عليه وليحبها الملك جورج الثالث ويحفظه الله للبلاد والمستعمرات.

إذن لم يكن هناك من يستحق مثل هذا المنصب الرفيع سوى القائد الصنديد جورج واشنطن

كان جورج حريصاً على ملعة شمل المستعمرات اتنى حالت بينها الحروب والاستعمار وكان يرى أهمية توحيد كل هذه المستعمرات بدلاً من أن تعيش كل واحدة بعيدة عن الأخرى، حيث رأى واشنطن أن توحيدها بضاعف من قوة البلاد ويحمى سلامتها.

كان مندوبو المستعمرات قد قرروا الاجتماع مرة أخرى فى فيلادلفيا فى مايو ١٨٨٧ للتباحث فيما أنجزوه طيلة الفترة الماضية، وكيفية توحيد الصغوف ودمج المستعمرات تحت لواء واحد ليكون الاتحاد أئت دعائم وأكمل نظام.

وهي خلال الاجتماع الذي ظل طيلة أربعة شهور على التوالي حتى يتمكنوا من الوصول إلى صيغة ملائمة للاتحاد المزمع قيامه لتصحح النظم والقواعد التي وضعوها خلال المؤتمر دستوراً جديداً للولايات المتحدة الأمريكية

وفي منتصف يناير ١٧٨٩ وقع اختيار الشعب على الناحيين، ثم اختار النواب الذين اختارهم الشعب رئيس للولايات المتحدة، ثم أعقب ذلك اجتماع الكونغرس في مطلع شهر مارس في نفس العام في مدينة نيويورك وقد عادر جورج واشنطن الرئيس الجديد بيته في شهر إبريل متوجهاً إلى المقر الرئاسي الجديد

كان الرئيس جورج واشنطن قد أبدى رغبته في أن يكون استقباله بسيطاً دون تكلف توفيراً للنفقات؛ حيث أن البلاد في حاجة إلى أية أموال لتدبير أحوالها بعد السنوات المعجاف التي مرت تحت أصوات المدافع، وما حربه من دمار وحرائق وخراب، لكن رغم ذلك فقد أعد الكونغرس استقبالاً رائعاً يليق بأول رئيس للبلاد حيث قامت لجنة خاصة تحركت لاستقباله في بوجرسى عبر الميناء

ثم تقوم إحدى السفن العملاقة للزدانة بالأعلام التي كانت ترغرف في الهواء الطلق منشرةً بقدم الطل ويفودها نحو ثلاثة عشر قبطاناً من البحارة البارعين وقد ارتدوا جميعاً ثيابهم البحرية البيضاء لتقبله من خلال الميناء إلى طرف وول ستريت.

كانت المدينة قد ريت بالأعلام وأقواس النصر من الزهور والورود فيما خرجت الجماهير عن مكة أبيها لاستقبال رئيس البلاد الأول في تاريخها

كانت الفرق الموسيقية تعرف الأناشيد الوطنية والحماسية والمدافع تطلق طلقاتها ابتهاجاً بقدومه . .

أما طقوس حمل تقليده للرياسة فقد تم تأجيلها حتى يفرغ أعضاء الكونغرس من مناقشة الآليات التي ينمى بها مخاطبة السيد الرئيس حتى تحفظ له مكانته وهيبته . . . وراح البعض يتساءل . هل يحاطب بلقب صاحب الجلالة الملكية؟ ولكن هذه مخاطبة البلدان الملكية لحكامهم من الملوك، وجورج واشنطن يشغل منصب رئيس جمهورية واشنطن بين هذا وذلك .

هل يحاطب بعبارة صاحب السمو الامم؟ أم صاحب المعظمة السامية؟ أم صاحب المكانة الرفيعة؟ كل هذه الاقتراحات كانت تدور في أروقة وقاعات الكونغرس طوال ساعات دون التوصل إلى صيغة ملائمة وسط خلافات حادة بين الأعضاء حتى بهض السير جيمس ماديسون الذي كان أحد أعضاء لجنة وضع الدستور قائلاً «ينبغي أن يقتصر الأمر على عبارة السيد الرئيس فقط»

وعلى جون آدمز . هذا في سمي أشبه ما يكون بأنه رئيس لعمرة اطملة الحرائق، وكان جون آدمز يشغل منصب وكيل الكونغرس

بعد ذلك تقرر أن يحلف الرئيس اليمين في الثلاثين من أبريل بعد الظهر من خلال الشرفة التي كانت خارج قاعة مجلس الشيوخ

في هذا اليوم احتشدت جموع الناس في الشوارع والميادين وحين ظهر لهم جورج واشنطن بدأ لهم صمعا مريضا حيث كانوا يطالبونه بأقصى ما يستطيعون وما يفوق طاقته

وسرعان ما استطاع أن يستجمع قواه مرة أخرى وتقدم بصع خطوات وراح يضع يديه على الكتاب المقدس، وحلف اليمين قائلاً «أقسم أن أؤدي عمل رئيس الولايات المتحدة بكل أمانة وإخلاص، وألا أدحر وسعا في أن أحافظ على دستور الولايات المتحدة وأصونه وأدافع عنه»

وبعدها وهمت جموع الشعب: «بارك الله جورج واشنطن.. عايش رئيسا!»  
 انتقلت أسرة جورج واشنطن إلى مقر الرئاسة الجديد في نيويورك، تلك المدينة  
 التي يسكنها نحو ثلاثين ألفا من السكان، وأقامت زوجة واشنطن أول حفل استقبال  
 لزوجات الساسة وأعضاء الكونغرس وسوة المدينة ووجهاء القوم، حتى أن الحميدة  
 بيللي قد لفت انتباهها الحللى والزينة والنياب العاخرة والاكسسورات التي كانت قد  
 تربت بها وجوه الساء

أما جدها جورج واشنطن فقد قرر أن يحدد يوم حفل الاستقبال للرجال فقط  
 وقد حدد يوم الثلاثاء وكان يرتدى خلاله ثياب فاخرة بدا بها حميلا جدانا لم يراه  
 حتى قيل إنه خلق لكي يكون رئيسا للملاد.



## واشنطن العاصمة الجديدة

كان المهاجرون يعملون ذات يوم من أيام شهر يونيه فى بضع حقول وغابات عبر نهر البوتوماك من جهة الاسكندرية، وكان جورج واشنطن مع شخص آخر كان يصمره سنا يراقبانهم من حقل التبع القديم القائم على ربوة عالية

وكان الحور راتعا وجميلا حيث السماء صافية والسحب البيضاء ساطعة

هى مثل هذا اليوم بالذات كان جورج واشنطن مند اثنين وأربعين عاما يعمل مجرد مساح صغير فى مدينة الاسكندرية، ولكن ها هو قد أصبح فى التاسعة والخمسين من العمر رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية

لقد وقع اختيار واشنطن على هذه المنطقة التى تقع وراء نهر البوتوماك القريب لقلبه لتكون مقرا للدولة الجديدة الوليدة، وعلى ظهرها شرعوا فى بناء عاصمة جديدة

أما زميله الذى كان يعمل مساحا معه ويصمره فى الس قد أصبح أشهر مهندس للتصميمات، حيث كان المستول عن تصميم العاصمة والتفيا معا جورج ورميله - فى المساء لوضع تصورات واقتراحات وافكار تتعلق بالمدينة المرمع قيامها

واتفق الرجلان على أن يكون مبنى الكونغرس مشيذاً على قمة الربوة على أن يكون مركزا بحيث تشعب منه العديد من الشوارع الواسعة

لقد قرر أعضاء الكونغرس أن يكون لهم مبنى خاص بهم، ومقر دائم بدلا من التنقل من هنا لهاك كل عام، وهو ما يؤدى إلى إشاعة جو من التوتر والعوصى فى صفوف الأعضاء على عكس أن يكون لهم مقراً ثابتاً ودائما

وبدأت مناقشات الاعضاء حول: أين يكون مقر مجلسهم الجديد؟ حتى  
 مسحهم مدينة ميرلاند بعض أراضيها التي خصصتها لهذا الغرض، فيما اشترى  
 البعض الآخر من أصحابه الذين غالوا في تبعية أراضيهم الأمر الذي دفع واشطن  
 إلى الذهاب إليهم لمناقشتهم في كمية تحفيض أسعار هذه الأراضي التي ارتفع ثمنها  
 إلى رقم فلكي لم يكن أحد يعلم به أو يتصور حدوثه مستقبلاً على هذا النحو  
 السريع، وقد يادر جورج واشطن بالقول لأحد هؤلاء الملاك وكان من اسكتلندا  
 لا نسي أنه لولا الدولة الاتحادية ما كنت تستطيع أن تباع أراضيكم على وجه  
 الإطلاق بل وكنت ستظل على حالكم مجرد إنسان فقير معدم لا يملك شيئاً  
 واحداً

فرد عليه المستر برنز ذاك الاسكتلندي العبد قائلاً  
 لولا أنك لم تزوج من أرملة كومستيس التي تشتهر بالثراء الواسع لبقيت أنت  
 أيضاً مجرد صاحب أراضي بل مساحاً فقيراً ومعدماً  
 ورغم حدة النقاش والنراشق العيف فقد اضطر مستر برنز إلى الصرح  
 والامتنال لرغبة جورج واشطن تقديراً لدوره العظيم في تحرير الوطن واستقلاله  
 كان برنز يملك قطعة الأرض التي اختارها الرئيس لتكون قصراً دائماً للرئاسة،  
 ومن ثم تراجع باقي الملاك وغاموا بتحفيض أسعارهم  
 ثم سرعان ما تولى المساحون تطهير قطعة أرض كانت حول المنطقة كلها تبلغ نحو  
 عشرة أميال مربعة وشيدوا فيها معالم حجرية بين كل معلم وآخر ميل واحد  
 لتؤكد للناس أنها ضمن أملاك الولايات المتحدة الأمريكية كلها  
 وكان المقصود بذلك هو إقليم كولومبيا كما أطلق عليه توماس جيمرمون  
 وماديسون وغيرهما من أعضاء اللجنة التي تولت مهام شرائها، وهم الذين أطلقوا  
 على المدينة التي ظلت أعمال البناء بها نحو عشر سنوات اسم «واشنطن»، بيد أن  
 واشطن نفسه لم يكن يستخدم هذا الاسم إطلاقاً، بل كان يردد أمام الجميع في  
 تواضع جم اسم المدينة الاتحادية.

## الرئيس يقدر السلام

كانت الولاية الأولى التي ظلت نحو أربعة أعوام هادئة فصلا عن أن مدته الثانية التي فاز بها بأعلى الأصوات قد تعرض خلالها لأقويل واقتراءات عديدة أهمها جهله التام بشئون أعمال الرئاسة، وأنه حاقط وناكر للمعروف، وأنه من السهاء الذين أنصمهم الخط، ولولا الأرملة الثرية التي تزوجها ما كان له شأن أو مكانة، بل كان سيفضي بقية عمره مساحا كبر أو صغرا . ثم بلغت الاتهامات ذروتها حين زعموا أنه إنسان خائن!!!

لهذا الحد بلغت الاتهامات التي طالت جورج واشنطن، ولكن لماذا كل هذه الافتراءات؟

بساطة لأنه رفض أن يعلن الحرب.

كان ذلك أثناء فترة اندلاع الثورة الفرنسية الكبرى، حيث أقدم الفرنسيون على قتل الملك لويس السادس عشر، وكانوا أن يقتلوا زوجته الملكة ماري أنطوانيت لولا أنها هربت إلى النمسا لانتماس الحماية من والدها امبراطور النمسا في ذلك الوقت .

لقد نجح الثوار في التخلص من الحكومة الملكية واستبدلوا بالجمهورية تحت شعار الحرية والإحسان والمساواة، ومن ثم قذفوا الرعب في قلوب ملوك وأباطرة أوروبا الأمر الذي دفع جميع البلدان الأوروبية وخاصة فرنسا العداء والكراهية، وكان في طبيعة تلك البلدان إنجلترا بالطبع.

وراح الناس في فرنسا يمتلأون عيظاً من ملوك أوروبا الذين يتربصون بفرس تلك الدولة التي ساعدتهم في طرد الإنجليز، وأحد البعض موقفا طالب فيه بضرورة

المشاركة مع فرنسا في حروبها على عرار ما صنعتها معنا عند حرب الاستقلال وادعى البعض الآخر أن هذا القول يحلو من الحديد، ويرهن على السجاجة وصيق الأفق فإن الذي قدم لنا يد المساعدة هو الملك لويس السادس عشر ملك فرنسا ولم يكن لهؤلاء العوغاء أى دور في مساعدتنا، ومن ثم إذا أردنا أن نقدم يد المساعدة فوجب علينا أن نساعد حتماً فرنسا لإعادة الملكية والقانون والنظام والشرعية في فرنسا، وليس العكس الذي لو قمنا به على النحو الذي يشده البعض لأصبحنا في مقدمة الجاحدين وناكر المعروف.

على هذا النحو انفسحت الولايات المتحدة على نفسها . فريق يطالب بالحرب على فرنسا، والآخر يطالب بالوقوف معها..

وخرجت الجماهير في الشوارع تحمل الاعلام الفرنسية وقد علت أصواتها وصياحتها في تأييد ونويج جورج واشنطن، حتى أن المظاهرات العاصفة كانت محتشدة أمام بيته في حصار مضروب كاد أن يقتل بحياته إلا إذا أعلن الضمامه لفرنسا ضد أعدائها.

إن جورج واشنطن لم يسأ أبداً فصل فرنسا ودورها في دعم بلاده ضد الإنجليز. لا لم يكن من هؤلاء الذين يكررون الفضل ولكنه لم يسقط من ذاكرته أنه وقف مع الإنجليز لمحاربة الفرنسيين وأنصارهم من الهنود . لقد حارب مع فرنسا وصد فرنسا أيضاً، وحارب مع إنجلترا وصد إنجلترا، ولكن حروبه كلها كانت من أجل وطنه وشعبه لا من أجل غاية أخرى، إن ما نحتاجه هذه البلاد هو السلام من أجل الهوص بالزراعة والصناعة والتجارة والإنتاج، والارتقاء بمستوى الأفراد وعلو هامة الوطن

لقد كان جورج واشنطن يعاني من شدة الألم وقد حاول أكثر من مرة إسعاد الرئاسة لئانه جون آدمز، وقد قال جون آدمز:

لقد أعرورت عيون الناس وهم يودعون أول رئيس لهم في آخر يوم من أيام عمله وتجمعت الناس لاستقباله في كل مكان يتجه إليه ويهتفون ويصيحون بعبارات الحب والولاء والإطراء حرس الشرف يصطف له في كل مكان يذهب إليه وهو ما أدخل السرور في قلبه، ومن ثم راح يقول:

«إد رضا بلادي عى لهر أكبر أمنية لى وما كنت أطمح به وأصبو إليه».

وعاد جورج إلى يته القديم في ماونت فرنون على ظهر عربة نجرها ثمانية خيول قوية، وذلك بعد أن انتهت ولايته الثانية ليعود معزرا مكرما إلى أسرته التي افتقدها طوال السنوات المنصرمة التي وهب فيها حياته من أجل شعب بلاده

ورغم بقاءه في ماونت فرنون فقد كانت تصله خطابات عديدة من المواطنين تستفسر عن صحته وأحواله، ولكن كان المرض بدأ يتدخل في جسده.

ورغم بلوغه السادسة والستين فقد شارك زوجته مارثا الرقص في أثناء الاحتمال بعيد ميلاده، وجاء يوم الجمعة السادس من ديسمبر ١٧٩٩ ليكون هو آخر يوم يسجل فيه مذكراته.

كان الثلج قد تساقط بحرارة يوم الخميس. وحين عاد إلى البيت لتناول الطعام كانت قطع الثلج تبلل شعر رأسه وتطرق عقه فتدهورت صحته يوم السبت لموت بعد ساعات معارفا الحياة تاركاً بصماته المحفورة بعمق في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت جلزة جورج واشتنى جنازة مهبة وضخمة، حيث حشرت الملايين لوداعه والبقاء النظرة الأخيرة على جنماته وسط بحار من الدموع التي تسافت بمرارتها ثلوج وأمطار الشتاء القارس الذي أدى بحياة الفارس المهور جورج واشنطن.

## فهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة	٣
الفصل الأول:	
نشأة جورج واشنطن .	٥
لورانس المثل الآخر .	١٠
وفاة الأب المفاجئة .	١٦
كيف تتعامل مع الآخرين؟	٢٠
العمل في الماحة	٢١
الورد المتواضع .	٢٦
الفصل الثاني:	٢٩
مذكرات جورج واشنطن .	٢٩
هجرة شقيقة لورانس .	٣٣
الفصل الثالث:	٣٧
حرب الهند مع الفرنسيين .	٣٧
الفصل الرابع:	٤٩
زواج جورج واشنطن .	٤٩
الفصل الخامس:	٥٣
جورج والانتخابات التشريعية .	٥٣
الفصل السادس:	٦٥
الجنرال . . جورج واشنطن .	٦٥

- ٦٨ ..... حرب الاستقلال.
- ٨٣ ..... نيللي.
- ٨٥ ..... فخامة الرئيس.
- ٩٠ ..... واشنطن العاصمة الجديدة.
- ٩٢ ..... الرئيس يقدس السلام.
- ٩٥ ..... الفهرس.



شخصيات أثرت في التاريخ



# جورج واشنطن مؤسس أمريكا

41  
89

Biblioteca Alexandria



0670083

I.S.B.N. 977-436-077-X



9 789774 360770

مكتبة النافذة